الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر لتاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

المظاهر الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف من خلال الأدب الأندلسي

إعداد الطالبات:

- شنين رانيا
- معافي سومية
- معروفي سارة

الإشراف:

أ.د- بلقنيشي علي

لجنـــــــــة المناقشـــــــــة

د. بلقاسم بن عودة	رئيسا	جامعة ابن خلدون تيارت
د. بلقنيشي علي	مشرفا مقررا	جامعة ابن خلدون تيارت
أ. دراكة عمر	مناقشا	جامعة ابن خلدون تيارت

السنـــة الجامعية :1444/1443ه الموافق لـ 2021 /2022

{ قُل اللّهمَّ ماَلِكُ المُلكِ تُؤتي المُلّكَ من تَشاَءُ وَ تَنزعُ المُلْكَ مِمّن تَشاَء وَ تُعزُّ منْ تَشاءُ

وَتُذلُّ منْ تَشاءُ بِيَدِكَ الخَيرُ إنكَ علَى كلّ شَيئٍ قَدِير

آل عمران : 26

صدقَ الله العظيم

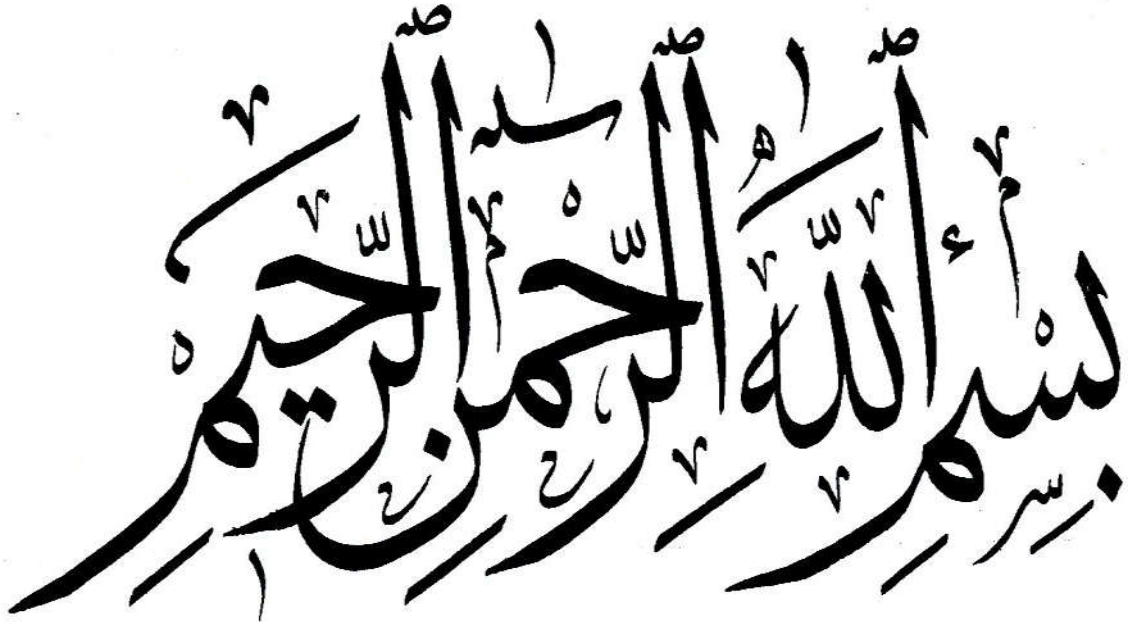
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر و العرفان

نشكر الله علي القدير الذي وفقنا في إنجاز هذا العمل المتواضع

كما نتقدم بالشكر الخالص إلى الاستاذ المشرف بلقنيشي علي الذي لم يبخل

علينا بتوجيهاته طيلة مدة العمل

و نتقدم كذلك بالشكر الجزيل لكل أساتذة قسم التاريخ

كما نتقدم كذلك بالشكر للجنة المناقشة الذين شرفونا لمناقشة مذكرتنا

الاهداء

بسم الله الواحد الأحد

نهدي ثمرة جهدنا إلى الذين منحونا الثقة و علمونا الصبر الوالدين حفظهما

الله و أطال الله في عمرهما

و إلى اخوتنا الأعزاء

و جميع أفراد عائلتنا

وإلى صديقتي العزيزة ليديا و إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ

الغرب الاسلامي

و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

"شنين رانيا"

الإهداء

بسم الله الواحد الأحد

نهدي ثمرة جهدنا إلى الذين منحونا الثقة و علمونا الصبر الوالدين حفظهما

الله و أطال الله في عمرهما

و إلى اخوتنا الأعزاء

و جميع أفراد عائلتنا

وإلى صديقتي العزيزة ليديا و إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ

الغرب الاسلامي

و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

"معافي سمية"

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

نهدي ثمرة جهدنا إلى الذين منحونا الثقة و علمونا الصبر الوالدين حفظهما

الله و أطال الله في عمرهما

و إلى اخوتنا الأعزاء

و جميع أفراد عائلتنا

وإلى صديقتي العزيزة ليديا و إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر تخصص تاريخ

الغرب الاسلامي

و إلى كل من ساهم في إنجاز هذا العمل

"معروفي سارة"

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه و على آله و صحبه أجمعين

شكّلت العناصر البشريّة المختلفة في الأندلس في عهد الدولة الأموية و التي جمعت بتعدّد العرقي و الطبقيّ و اللساني نسيجا مميّزا ساهم في تنوع مظاهر الحياة الاجتماعية و الثقافية على حدٍّ سواء، تتنعم بحياة العزة و القوة

ولكن سرعان ما تغيرت الأحوال ، فتفاقمت النزاعات و الصراعات داخل البيت الأموي ، و بدأ الضعف ينتاب الخلفاء اللاّحقين ، و أخذت النزعة الماديّة لديهم بالظّهور ، وقد تعدى ذلك إلى الرّعيّة فمالو إلى إشباع الغرائز فضلا عن حياة اللّهو و الترف و المجون و الخلاعة التي كانت القاسم المشترك بين كثير من دول الطوائف حكاما و محكومين فثار الناقمون عليها من بني جلدتها قبل القوى النصرانية المتربّصة بها ، نتيجة إتباعهم لسياسات خاطئة تتقدمها المصالح الذاتية الضيّقة على حساب المصلحة العامة ، و حينئذ بدأت أسباب الضعف تنخر في جسد الدولة الأمويّة ، فدقّت أجراس الخطر إيذانا ببدايات سقوطها ، وعندئذ قامت على أنقاضها دول عرفت في التاريخ "بدول ملوك الطوائف " التي استنزفت معظم قوتها في الصراعات الدّاخليّة

و الذي يستقرئ تاريخ ذلك العصر يدرك أنّ تعدد مظاهر الحياة الاجتماعية في الأندلس لم ينشأ من فراغ ، بل كان له أسبابه و ظروفه ، و لم يكن الأدب الأندلسي منعزل عن ذلك كله ، إذ راح الشعراء و الأدباء يصوّرون تعدّد مظاهر الحياة الاجتماعية التي بدت صورها واضحة للعيان إمّا مفتخرين ببعضها أو ناقمين متأسّفين على ما آلت إليه الأمور ، و يكفي أن المصادر الأدبية على اختلافها شعرا و نثرا و التي عينت بعصر ملوك الطوائف زاخرة لتصوير ذلك الواقع ، ولكن حسبنا في هذا البحث أن نسلّط الضوء على بعض تلك المظاهر الاجتماعية التي أرخ لها الأدب الأندلسي لكون هذا الأخير يعد وثيقة تاريخّية هامّة تقف شاهدا على طبيعة الحياة الاجتماعية في ذلك العصر ليكون عنوان هذا البحث **المظاهر الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف من خلال الأدب الأندلسي** ، و من هنا تبدو أهميت البحث ، بالرغم من كثرة الدراسات التاريخية حول مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف إلا أننا نجد بعض النقص في الاهتمام بالجانب الأدبي الذي يعد في حقيقة الأمر وثيقة تاريخية هامة نستكشف من خلالها أهميت المدونات الأدبية في التأريخ لتلك الحياة .

من بين الأسباب التي دفعتنا للبحث في هذا الموضوع:

الرغبة في الوقوف على الجانب الأدبي و أميته في التأريخ لتلك الفترة الزمنية .

محاولة وضع القارئ الكريم أمام بعض نصوص المصادر الأدبية و المدونات الشعرية التي سارت جنبا إلى جنب في تصوير واقع الحياة الاجتماعية في الأندلس و التعريف ببعضها.

و قد اتبعنا لمعالجة هذا الموضوع المنهج التاريخي الذي يتخلله بعض الوصف و السرد من خلال الوقوف عند بعض الوقائع التاريخية ، و من هنا نطرح الإشكال التالي : **فيما تمثلت الظواهر الاجتماعية الأندلسية في عصر ملوك الطوائف من خلال الأدب الأندلسي ؟** و تندرج تحته تساؤلات فرعية يمكن أن نحددها من خلال ما يلي :

ماهي أساسيات التركيبة البشرية و المرجعية للمجتمع الأندلسي ؟

ماهي أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية التي سادت في المجتمع الأندلسي من خلال الأدب ؟

ولمعالجة هذه الإشكالية اتبعنا خطة مكونة من مدخل و فصلين و خاتمة جاءت على النحو التالي:

عنونا المدخل ب **لمحة تاريخية عن قيام ممالك الطوائف** و تناولنا فيه السياسة التي اتبعتها الأسرة العامرية بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله و أثرها في المشهد السياسي الأندلسي ، سياسة الحاجب عبد الرحمان بن أبي عامر الفاشلة و أثرها في قيام الفتنة في قرطبة ، نتائج هذه الفتنة على المجتمع الأندلسي .

و جاء الفصل الأول الموسوم ب **المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف دراسة في التركيبات و المرجعيات** ليسلط الضوء 1 / التركيبة الاجتماعية التي تشكلت من العناصر التالية (العرب ، البربر ، المولدين ، الصقالبة ، اليهود) 2/ التركيبة الطبقية : تكونت من (الطبقة العامة ، الطبقة الخاصة) 3 / المرجعية اللسانية و الدينية : تضمنت (اللغة و الدين في المجتمع الأندلسي) 4/ مكانة المرأة في هذا العصر و(أهم الإسهامات التي قامت بها و صورتها عند بعض الشعراء و الأدباء)

أما الفصل الثاني المعنون ب **مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف بين التاريخ و الأدب** فقد تناولنا فيه بعض ما يربط الأندلسيين ببعضهم البعض منها 1/ الإخوانيات : التي ضمت بعض المواضيع التي كانت في (الصداقة و الأصدقاء ، التهاني و التهادي ، الفكاهة و الدعابة ، التعازي) 2/ العادات و التقاليد : بتركيز الحديث عن (المصاهرات ، الأطعمة و الأشربة ، الألبسة و الزينة و العطور ، النظافة و

الحمامات ، المآتم و الجنائز) 3/ الاحتفالات و التسلية : التي تعتبر من الوسائل المرفهة عن النفس ذكرنا منها (الأعياد و المناسبات ، مجالس اللهو و الغناء و المتعة ، النزهة و الصيد) 4/ الأخلاق : تضمنت سلوكيات الإنسان نذكر منها الأخلاق فانقسمت (إيجابية و سلبية)

و ختمنا موضوعنا هذا بخاتمة تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها .

الدراسات السابقة لهذا الموضوع:

فيمكن إجمالها فيما يلي الحياة الثقافية نجد أن كل الدراسات كانت حول الشعر نذكر منها دراسة حامد عبد الحميد تحت عنوان الشعر العربي في عهد الطوائف بالأندلس ونجد أيضا دراسة رسالة ماجيستر جامعة باتنة عالجت المظاهر الاجتماعية و الاقتصادية في عصر ملوك الطوائف أما دراستنا عالجت جميع الجوانب (الثقافية , الاجتماعية) من ناحية الأدب في الأندلس .

و قد اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع المتنوعة نذكر البعض منها

1/ المصادر : – المقري شهاب الدين (التلمساني) ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب من المصنفات التاريخية احتوى على الكثير من المعلومات القيمة كل ما يتعلق بالأندلس كعناصر موضوعنا (الدويلات الطبقات ، الموائد ، النظافة) –ابن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، كتاب العبر ، ج 2–4 انتقينا منه بعض المعلومات لرسالتنا (أنساب العرب) – ابن حمديس عبد الجبار ، صاحب أعرق ديوان (ديوان ابن حمديس) استفدنا منه في مجال المظاهر الاجتماعية في الأندلس كقصائد الخمور و الموسيقى و مختلف المناسبات .

2/ المراجع : – صلاح خالص ، إشبيليا في القرن الخامس الهجري ، و هو دراسة لإشبيليا في عهد بني عباد من الناحية التاريخية و الأدبية ، أخذنا منه (التركيبة الاجتماعية ، الطبقة) – حسن يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر لأموي (138–422هـ/755–1030م) جمعنا منه بعض المعلومات تخص (تنوع سكان الأندلس ، مظاهر الحياة الاجتماعية) – خديجة قروعي ، ظواهر اجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس ، يعد من بين المراجع القيمة التي اعتمدنا عليها في عناصر عدة في كلا الفصلين .

3/الرسائل : – رسالة الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية و أدابها نضال سالم النوافعة ، الشعر الاجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، أفادتنا في رصد المعلومات فيما يخص (مجالس اللهو و الأعياد و المناسبات ، الإخوانيات) – رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، خميسي بولعراس ، الحياة الاجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/ 1009- 1086م) أفادتنا في (القبائل العربية ، أسباب هجرة البربر)

4/ المقالات : – أريج كريم حمد هاتف ، المرأة الأندلسية العادات و التقاليد و التحدي و التغيير ، تناولت هذه المقالة أهم جوانب حياة أهل الأندلس (الإجتماعية) – جاسم ياسين الدرويش ، دور المرأة في الحياة الإجتماعية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة ، تناولت هذه المقالة إسهامات المرأة الأندلسية في مختلف المجالات (السياسية ، الإجتماعية ، الثقافية ، الإقتصادية) .

وقد واجهت مسيرة هذا الموضوع مجموعة من الصعوبات نذكر منها : صعوبة الوقوف على إختيار المناسب من الأدلة .– لم يقع في ايدينا الكثير من الدراسات التي جمعت بين التاريخ و الأدب في حديثها عن موضوع بحثنا .

مدخل

1 / سياسة محمد بن ابي عامر و أثرها في المشهد السياسي الأندلسي

2/ سياسة الحاجب عبد الرحمان بن ابي عامر و أثرها في قيام الفتنة في قرطبة

3/ نتائج الفتنة على المجتمع الأندلسي

عرفت الأندلس بعد زوال الخلافة و انتهاء حكم الدّولة العامريّة انقلابا في الأحوال السّياسيّة و الاجتماعيّة، حيث بدأت بالتفكّك و الضّياع، وأصبحت أوضاع الأندلس على المحك، وكلّ هذه العوامل قامت بسبب الفتنة البربرية التي حوّلت الأندلس من ذروة قوّتها و تماسكها إلى ساحة لا مثيل لها في الفتن و الحروب، وبعد كلّ هذه الصّراعات أنشأت كيانات متعدّدة سمّيت بملوك الطوائف، ومن هنا حقّ لنا أن نتساءل: ما هي الأسباب التي أدت إلى نشوب هذه الصراعات؟ ما هي الأطراف التي شاركت فيها؟ وفيما تمثلت نتائجها؟

لقد اعتمدت الأسرة العامريّة الممثلة في (محمّد بن أبي عامر المعافري، وولديه عبد الملك ، و عبد الرحمان) بعد وفاة الخليفة الأموي الحكم المستنصر بالله، و أخذ البيعة لوليّ عهده الصبي (هشام المؤيد)، أو بالأحرى انتزاع ولاية العهد منه، سياسة قائمة على التفرّد بالسّلطة دون الخليفة، وعزل الأسرة الأمويّة عن مجريات الأحداث، وفي هذا الجزء من البحث نسلّط الضّوء على الحديث عن الأسرة العامريّة و سياستها في صراعها على السّلطة، وأثر هذه السّياسة في ظهور نزاعات داخليّة نتج عنها تفكّك وحدة المسلمين، وإلغاء الخلافة الأمويّة، و قيام ممالك عديدة على مسرح الحياة السّياسيّة في الأندلس مؤثرين الإيجاز على الاستقصاء و التّفصيل – بما يخدم البحث – و ذلك لتقديم صورة موجزة للقارئ الكريم عن الظّروف السّياسيّة المهيّئة لقيام عصر ملوك الطّوائف في الأندلس .

أ/ سياسة محمد بن أبي عامر وأثرها في المشهد السّياسي الأندلسي :

بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله (366هـ -976م)، تمّت البيعة لوليّ عهده هشام المؤيد[1] الذي كان بحكم سنه الصّغير (عشر سنوات أو إحدى عشر سنة)[2] عاجزا عن القيام بأمور الحكم، مع وجود الأعمام الكهول وبني الأعمام الفحول مع ضعف في الأصل[3]، بسعي من ثلاث شخصيات رئيسة كان لها أثر كبير في

[1] إبن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، (د ط) ، (تح) ليفي بروفينسال، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، (د ت)،ج2 ، ص249

[2] ابن الخطيب السلماني ، أعمال الأعلام في من بويع قبل الإحتلام من ملوك الإسلام ، ط2 ، (تح) ليفي بروفينسال، دار المكشرف، بيروت، لبنان، ،ج2 ، ص 44 .

[3] نفسه ، ص 44

الحياة السّياسيّة في الأندلس؛ أمه السيّدة (صبح البشكنسية)[4] التي كانت نافذة الرّأي عند الخليفة الحكم المستنصر والتي وصفت بأنها: "حضيّة الخليفة، أم الخليفة، سيّدة مطلقة الرأي، تولّي وتعزل الوزراء والقادة وتدير شؤون السّلام والحرب حسناء، يغنم جمالها ملكا، ويأسر خليفة، تسيطر على القصر والحكومة، صاحبة السّلطان المطلق في أعظم دول الإسلام"[5]، وأيضا الحاجب (عثمان المصحفي)[6] ، و (محمد بن أبي عامر المعافري)[7] الوكيل على شؤون وليّ العهد هشام الذي وجدت فيه (صبح) بطانة تساندها في حصول ولدها هشام على الخلافة بعد أبيه؛ بما كان له من خصال بكونه الأمل المنشود في تحقيق رغباتها في وصول ولدها للخلافة[8]، الذين تدفعهم المصالح الشّخصيّة والطّموحات الكبيرة إلى الحرص على انتقال الخلافة إلى الصبيّ هشام .

وهذا العهد الذي عقد لهشام، وحرص على تنصيبه خليفة لم يرق لأحد من العقلاء و أصحاب النظر؛ فقد أثار حفيظة الكثيرين من بني أميّة؛ لأنّه شجّع الطّامعين في الوصول إلى السّلطة لتحقيق مآربهم من خلال السّيطرة على الخليفة الطفل، كما فتح الباب على مصراعيه للتّدخّل في شؤون الحكم والتنافس والصراع بين رجال الدّولة

---

[4] صبح البشكنسية : جارية الحكم المستنصر و أم ولده هشام المؤيد و التي لقبها بإسم جعفر و كانت صبح من سبي البشكنس إشتراها الحكم و نالت عنده مكانة رفيعة خاصة بعد أن ولدة له إبنه الأول عبد الرحمان الذي مات طفلا ثم ولدة هشام المؤيد و كان ذلك بعد كبر سن الحكم و يأسه فعظم سروره بولده و زاد ذلك من مكانة أمه عنده ، توفيت صبح عام (388هـ/998م) (إبن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 42-59-61 .

[5] عنان محمد عبد الله ، تراجم إسلامية شرقية و أندلسية ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، ط2، 1390هـ/1970م ، ص: 199 .

[6] جعفر بن عثمان بن نصر ، أبو الحسن الحاجب المعروف بالمصحفي : وزير ،أديب من كبار الكتاب وله شعر كثير جيد ، أصله من البربر بلنسية إستوزره المستنصر الأموي إلى أن مات وولي جزيرة ميورقة في أيام الناصر ، ولما ولي الحكم إستوزره و ضن إلية ولاية الشرطة و آلت الخلافة إلى هشام المؤيد بن الحكم تصرف في أمور الدولة ، أعتقله المنصور ، وصادر أمواله ومات في سجنه .(إبن خلدون ، العبر ، ج4 ، ص144.

[7] حاجب الأندلس في دولة هشام المؤيد بالله و الغالب عليه ، أصله من الجزيرة الخضراء قدم قرطبة شابا و إتصل بقصر الخلافة فتصرف أول أمره في الوكالة لصبح أم هشام إصتطاع أن يتقلد مناصب أخرى عندما توفي الحكم كان أحد أعضاء مجلس الوصاية ، سيطر على مقاليد الأمور ، عزل الخليفة عن الحكم ، لم يكن له إلا السلطة الإسمية ، لقب نفسه (بملك الأندلس) قام بالكثير من الإنجازات السياسية و العسكرية قضى في عهده على الرجال الأكفاء في الدولة هذا ما أدى إلى إنهيارها بعد سنوات من رحيله توفي (392هـ/1002م) .(إبن بسام ، الذخيرة ، ج4 ، ص 38-48).

[8] المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرّطيب ، ج3 ، (د ط) ، (تح) إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان ، ص88.

وقادتها في وجود الأعمام ورجالات بني أمية الكبار، وقد اعتبرت هذه البيعة خطأ فادحا عاد بالسّلب على الخلافة الأمويّة في الأندلس التي فقدت الكثير من رجالها بسببه وجعلها تسير نحو التّصدّع و السّقوط[9].

يقول عنه ابن حزم الأندلسي (ت 456هـ/1063م) :"وجميع فرق أهل القبلة ليس أحد منهم يجيز إمامة امرأة ولا إمامة صبيّ لم يبلغ ... وهذا خطأ؛ لأنّ من لم يبلغ فهو غير مخاطب، والإمام مخاطب بإقامة الدّين"[10]

ومن تمّ فقد انقسم المقرّبون من قصر الخلافة بين مؤيد لتولّي هشام الخلافة وهم: الوزير الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي صاحب النّفوذ في القصر، ومحمّد بن أبي عامر النّاظر الخاص وصاحب الشّرطة، والقائد غالب بن عبد الرحمان، الذين انطلقوا من ضرورة التّمسّك بوصيّة الخليفة الحكم المستنصر بمبايعة هشام، وبين معارض لها يرى أن تولّي الخلافة لا تكون إلا بقادر على حمل ثقلها وهو مالا يتوفّر في هشام، وهم فتيان القصر من الصّقالبة الذين يمتلكون قوّة كبيرة في القصر ويتمتّعون بسلطات واسعة، يتقدّمهم الخادمان (فائق وجؤذر)، وكان مرشّحهم لمنصب الخليفة هو المغيرة بن عبد الرحمان الناصر[11]، و أن يكون هشام بن الحكم وليّ عهد[12]، وهذا الأخير قتل من قبل ابن أبي عامر بأمر من المصحفي الذي غدر به هو الأخر وأزيح من منصب الحاجب وزجّ به في السّجن[13] بتدبير من ابن أبي عامر نفسه الذي بلغ مكانة لم يبلغها غيره من رجال الدّولة من الصّقالبة أو غيرهم عند الحكم المستنصر؛ إذ تقلّد مناصب كثيرة في سلك السّياسة والدّولة، وكان ذلك في فترة قصيرة نسبيا من عمره، بالإضافة إلى علاقته الوثيقة بأمّ الخليفة السيّدة صبح، والتي يعتقد أنّها وصلت إلى أبعد من كونه مؤدّب ابنها وموضع ثقتها، و ناظره الخاص في قصر الخلافة، ومن هنا سيكون لأبي عامر وأسرته دور كبير في الاستئثار بالسّلطة والاستيلاء

---

[9] إبن الأبار، الحلة السيراء ،(تح)حسين مؤنس، ج1 ، ط2 ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص 268 / إبن العذاري المراكشي ، البيان المغرب ، ج2 ، ص 151 .

[10] القرطبي أحمد بن السعيد الأندلسي، الفصل في الملل و الأهواء والنّحل، ج4 ، (دط) ، مكتبة الخانجي ، (د تح)،القاهرة، مصر، ص179.

[11] يعد من أبناء الناصر ، وقد قتله إبن أبي عامر في صبيحة الليلة التي مات فيها أخوه الحكم ، (إبن حزم ، جمهرة الأنساب ، ص 103) .

[12] الدرويش جاسم ياسين و العلياوي حسين جبار، الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس (138-422هـ/755-1030م) ، مجلة الآداب، جامعة ذي قار، العراق، 2017م ، ع21، ص، 284.

[13] من أجل التّخلّص من نفوذ الحاجب المصحفي استعان الوزير محمّد بن أبي عامر بالوزير غالب الناصري، فصاهره ثم أشركه بالحجابة مع الحاجب المصحفي الذي أدرك أن نفوذه السّياسي قد أوشك على النهاية.(السامرائي خليل إبراهيم و آخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1 دار الكتاب الجديد ، بيروت، لبنان، ص، 195).

عليها، والاستحواذ على الخليفة الصبيّ هشام، وتغييب دوره في المشهد السّياسي؛ حيث أقدمت هذه الأسرة على سياسات وإجراءات كان لها الأثر البالغ في استياء كثير من أبناء البيت الأموي، وبداية الصّراع الخفيّ على السّلطة بينهم وبين العامريِّين، والذي سينتهي فيما بعد إلى إشعال الفتنة في البلاد وجرّها إلى الحرب الأهلية [14]، ومن جملة تلك السّياسات والإجراءات:

أولا: حلّ جيش الخلافة القديم و استبداله بجيش جديد يكون ولاؤه له. يقول ابن خلدون :"فاستدعى أهل العدوة من رجال زناتة والبرابرة فرتّب منهم جيشا ... و آخر رجال العرب وأسقطهم عن مراتبهم فتمّ له من أراد من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر"[15]، و ذلك لما خشي من اتّفاق جنده على ما يخلّ بأمن دولته متى ما أرادوا، فعزم أن يجعل جيشه مكوّنا من أصناف مختلفة حتّى إذا أرادت طائفة منهم بالخروج عليه استطاع القضاء عليها بغيرها تتقدّمهم طائفة البربر الذين زاد عددهم في عهده[16]، والذين سيكونون فيما بعد أحد أسباب الفتنة وانهيار الأندلس، لما كان في قلوب أهل الأندلس (عرب، وصقالبة، وبربر) من رفض لاستبدالهم بالقوّات الجديدة (البربر الجدد) الذين استقدموا إلى الأندلس[17]، و هو ما سيسفر عن نتيجتين هامّتين هما:

أ/ غرس الأحقاد في نفوس طوائف الجيش الجديد نتيجة الاختلال الخطير في مكوّناته، و هو ما أفسح المجال لتحريك العرب والبربر القدامى وإيغار صدورهم على البربر الجدد القادمين من العدوة .

ب/ تضامن العرب دفاعا عن مصالحهم التي ضربها ابن أبي عامر عرض الحائط لصالح الصّقالبة والبربر الجدد المتواجدين في القصر و الجيش[18] .

---

[14] ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب، (م س)، ج2 / ص 262.

إبن خلدون عبد الرحمن، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر، ط2 ، (تح) خليل شحاذة ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان

[15] 1408 هـ/ 1988م ، ج4 / ص 189 .

[16] سالم السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، (د ط) ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، مصر ، 1979م، ص83.

[17] كولان ج س، الأندلس ، ط1 ، (تر) لجنة من دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، لبنان، 1980م، ص 126 .

[18] سالم السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، السّابق ، ص 84

ثانيا: تغيير حرس القصر القديم بحرس جديد، حيث سعى المنصور بن أبي عامر إلى التّخلّص من خطر فتيان القصر من الصقالبة، وتحريرهم من نفوذهم و إخراجهم من القصر باستخدام كلّ من السيّدة صبح والحاجب المصحفي، وبهذا تمكّن محمد بن أبي عامر من التخلّص من المنافسين له بالإيقاع بينهم، واستخدام بعضهم ضدّ بعض حتى أصبح هو المهيمن على قصر الخلافة، وأصبح ماسكا بكلّ سلطات الخليفة هشام الذي لم يكن له من الخلافة إلا اسمها[19]، غير أنّه لم يجرأ على قتله أو خلعه أو أخذ ولاية العهد منه، بل على العكس من ذلك كان يظهر له الطّاعة و الولاء.

ب/ سياسة الحاجب عبد الرحمن بن أبي عامر وأثرها في قيام الفتنة في قرطبة:

إثر وفاة الحاجب عبد الملك بن أبي عامر الملقّب بـ(المظفّر) سنة (399هـ/1008م) تولّى الخلافة أخوه عبد الرّحمن الملقّب منذ حداثته بـ(شنجول)، وكان حينها في الخامسة والعشرين من العمر، عرف بقلة الذّكاء والطّيش وميله إلى حياة اللّهو والمجون والخلاعة والاستهتار، وعدم كفاءته لسدّ الفراغ الذي أحدثه أخوه عبد الملك، وعدم إتّصافه بصفات أبيه وأخيه، ممّا جعله ممقوتا من قبل العامّة[20]، تلقّب بلقب(المأمون) ثمّ أضيف له لقب(ناصر الدّولة)[21] .

و بعد مدّة قصيرة جدا (شهر و نصف) من ولايته أقدم على فعل متهوّر لم يحسب حسابه جيّدا، وهو طلب ولاية العهد من الخليفة هشام المغلوب على أمره؛ إذ هدّده بالفتك به، إذا لم يمنحه ولاية عهده، فوافق الخليفة دون تردّد لضعف عقله وسوء نظره، وهو الذي نشأ في القصر على طاعة الأسرة العامريّة وعدم رفض أيّ طلب لها [22].

وقد كان الإقدام على هذا الفعل هو القشّة التي قسمت ظهر البعير؛ إذ ثارت حميّة الأمويّين خاصة بعد أن شدّد على رجال دولته حتّى ثارت ضغائنهم و سعوا للخلاص منه[23]، و عدّوه غاصبا للخلافة وهو ما ترجم فعلياّ بقيام

---

[19] ابن خلدون ،العبر ، (م س) ،ج3 ، ص 18/ المقري ، نفح الطيب ، (م س) ،ج3 ،ص 90 .

[20] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، السابق ، ص 90 / ابن العذاري ، البيان المغرب ،ج3 ، ص 39 .

[21] الذهبي شمس الدين ، سير الأعلام النبلاء ، (د ط)، (تح) حسان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية ،، عمان ، الأردن ، ص373 .

[22] ابن العذاري، البيان المغرب ، السابق ، ج3 ، ص 38 .

[23] نفسه ، ص 48 .

محمد بن هشام بالثّورة على عبد الرحمن شنجول بعد أشهر قليلة من تولّيه سنة (399هـ /1008م) وانتهت باسترجاع الأمويّين لنفوذهم[24]، وكان ذلك بتحريض من والدة عبد الملك المظفر (الذلفاء)[25] ، التي انتقمت لولدها الذي قتل مسموما على يد أخيه شنجول بعد اتهامها له[26].

و من الجدير بالإشارة أنّ هذه الثّورة جلبت الاضطرابات و الفتن الدّاخليّة وحرّكت التّناقضات المتراكمة والمشاكل العميقة في قرطبة، سرعان ما تحوّلت إلى حرب أهلية كانت كلّ الأطراف خاسرة فيها، وهو ما كان له أكبر الأثر في تصدّع و انفراط عقد الأندلس[27]، وإنهاء حكم الأسرة العامرية، وهذا يعود إلى الفتنة التي عرفت في تاريخ الأندلس بالفتنة البربرية التي نجمل أسبابها فيما يلي:

أ/الأسباب غير المباشرة : –الموقع الجغرافي للمجتمع الأندلسي المتمثّل في الأجناس والعناصر التي انقسمت إلى قبائل و مناطق نفوذ، و الصّراعات المستمرّة على تقسيم الأراضي أدّى إلى صعوبات متمثلة في عدم تواصل العلاقات بين أجناس الأندلس.

–تذمّر فئة كبرى من الأندلسيّين على استبداد العامريّين بالحكم، فانقسمت الأندلس إلى جهتين: جهة كانت مع بني عامر، و أخرى تجمّعت حول بني أمية حاقدة على السّلطة العامرية والسلطة المركزية المتمثلة بالحاجب المنصور[28].

– الاعتماد علي سياسة التّوريث للحكم للأمويّين زرعت الحقد بين أفراد البيت الأموي، إذ تعرّض معظم الخلفاء إلى مؤامرات كان سببها إخوانهم بسبب الحقد والتنافس على الخلافة [29].

---

[24] ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، (م س) ، ص 96،97 / المقري ، نفح الطيب ، (م س) ، ج1 ، ص 424 .

وهي والدة الحاجب عبد الملك المظفر التي إتهمت شنجول بقتل ولدها وقد كان لها دور كبير في تحريض الخليفة المهدي وساعدته بالأموال للقيام [25]على الحاجب شنجول (إبن عذاري ، البيان المغرب ، ج3 ، ص 25) .

[26] ابن عذاري، البيان المغرب ، (م س) ، ج3 ، ص 37 / إبن الخطيب أعمال الأعلام ، (م س) ، ج2 ، ص 103 .

[27] ينظر ، سالم عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ،ج1 ، (م س) ، ص 85 .

[28] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ (سياسيا، إجتماعيا ، إقتصاديا)، ط1، دار غيداء ،عمان ،2009م، ص34، 35.

ب/ الأسباب المباشرة

– اختيار هشام المؤيد لخلافة المسلمين من قبل أبيه المستنصر وهو غير قادر على تولّي الخلافة، وعدم توفّر شروط القيادة فيه.

– الاستغاثة بالنّصارى مقابل التّنازل على بعض المدن، والسّماح لهم بمعرفة أسرار الدّولة، وتدخّلهم في الشّؤون الدّاخلية للبلاد[30].

– افتقاد الخلافة للشّخصية السّياسيّة المتحكّمة بزمام الأمور، وانتشار حياة البذخ والترف، وتعدّد الأطماع في كرسيّ الحكم[31].

نتائج الفتنة على المجتمع الأندلسي:

– انتشار الدّمار و الخراب على كامل أراضي الأندلس خصوصا قرطبة التي كانت جنّة البلاد؛ فقد وصفها إبن الحوقل بقوله: "هي أعظم مدينة بالأندلس، و ليس بجميع المغرب لها عندي شبيه في كثرة أهل، وسعة محل، وفسحة أسواق ، و نظافة محال ، و عمارة المساجد ، و كثرة الحمامات و الفنادق "، والتي تحوّلت إلى مدينة الأشباح [32].

– تفرّق الجيش النّظامي وسيطرة الخارجين عن القانون على المدن و تقسيم الأندلس إلى نفوذ .

– زوال نفوذ وسلطة فقهاء وقضاة الأندلس الذين غادروا أراضيهم طالبين النّجدة والعون بعد تفاقم الصّراع في البلاد.

سالمي نصيرة ، عشوش نبيلة ، عثامنة الذوادية ، عصر ملوك الطوائف في الأندلس بين الانحطاط السّياسي و الازدهار العلمي (422-503هـ/1031-1110م) ، مذكرة ماستر، (مخطوط)، إشراف بتة مرزوق ،تخصص القرون الوسطى ، جامعة محمد بوضياف ، المسيلة ، 1436[29]هـ/2015م ، ص23.

[30] عمر إبراهيم توفيق ، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ (سياسيا، إجتماعيا ، إقتصاديا) ، (م س) ، ص 35 .

سالمي نصيرة ، عشوش نبيلة ، عثمانية الذوارية ، عصر ملوك الطوائف في الأندلس بين الانحطاط السّياسي و الازدهار العلمي (422-503[31]هـ/1031) ، (م س) ، ص 24

[32] المقري تلمساني ، نفح الطيب ، ج1 ، ص 460

– الفقر والمجاعة وانتشار الأوبئة، ونتيجة لذلك توقّف النّشاط الاقتصادي والزّراعي وكثرة الضّرائب .

– الإنحلال الإجتماعي وتفكّك الرّوابط بين أهل الأندلس، كما تفشّت ظاهرة قطاع الطّرق والجريمة .

– فقدان الأندلس لثغائر مهمّة خصوصا المسلمة، وسقوطها بعد فقدانها للمدافعين عنها وانحلال جيشها[33] .

وبعد انقطاع الحكم بقرطبة و إنحلال فساد السّلطة بالأندلس عمل العرب والبربر والصقالبة على إستقلال بمناطق نفوذهم بعيدا عن السّلطة الأرستقراطية المحلية.

وفي ظلّ هذا الوضع المتأزّم أنشأت كيانات متعدّدة عرفت بدول الطّوائف، وقد تعدّدت آراء المؤرّخين حول عصر ملوك الطّوائف، فسمّاه ابن بسام (عصر الفتنة)، و الكدبوس (عصر الفرقة)، كما أطلق على زعمائها زعماء الفتنة أو مقتسمي الملك من بعد الجماعة، وأطلق عليهم ابن عذاري لقب (أمراء الفرقة الهمل)، وكان هؤلاء الملوك لا تهمّهم مصلحة البلاد، وهذا دليل على تخاذلهم وانشغالهم في الحروب الدّائمة مع بعضهم، والفتن التي لا تكاد تنتهي، وقد غرقوا في الملذّات والشّهوات، ممّا زاد في طغيانهم وفسقهم، واستخدم هؤلاء الملوك عسكرهم من البربر لإرهاب النّاس وإذلالهم، والذين وجدوا في بعض الأدباء و الشّعراء المنافقين أبواقا لهم؛ بحيث يزيّنون لهم أعمالهم و يصوّرون إنتصاراتهم، في حين نجد أنّ معظم الفقهاء والعلماء لم يقومو بدورهم .

وقد وصف إبن الخطيب العلاقة بين ملوك الطوائف بقوله: "وجعل الله بين أولئك الأمراء ملوك الطّوائف من التّحاسد و التّنافس والغيرة ما لم يجعله بين الضّرائر المترفات، والعشائر المتغيرات ، فلم تتصل لهم في الله يدٌ، ولا نشأ على التّعاضد عزم و توجه إلى الاستكثار قصد"[34] .

ومن المفيد أن نشير إلى أنّه يصعب ضبط عدد دويلات الطوائف[35]، حيث كان الملوك ينتزعون المدن من بعضهم البعض، وأيضا ملوك النّصارى يستولون من وقت إلى آخر على بعض المناطق، وهذه الدّويلات لم تكن تمتلك مقوّمات الدّولة القويّة لحفظ استقرارها وكيانها، وقد وصل عددها إلى ثلاثة وعشرين دويلة أهمّها:

---

[33] عمر إبراهيم توفيق ، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ (سياسيا ، إجتماعية إقتصاديا) ،المرجع السابق ، ص 36-38 .

[34] محمد عبده حتماله ، الأندلس التاريخ و الحضارة و المحنة ، (دط)، دراسة شاملة ، عمان ، الأردن،2000 م ، ص924-925.

1/دولة بني جهور: بعد اضطراب الأمور و فقدان الأمن و الاستقرار قرّر أهل قرطبة اختيار مجلس رئاسي لإدارة شؤونهم فاختاروا أبا حزم بن جهور الذي تميّز بالسّياسة الناجحة والجد والحزم، وفرض احترامه على بقية الملوك، وبعد

وفاته أصبح الحكم لابنه أبي الوليد بن جهور فحاول السّير على نهج أبيه، حيث قرّب العلماء والأدباء من مناصب الحكم، وأصبحت الدّولة الأمويّة على أفضل حال في حكمه[36] .

2/ دولة بني عباد: هي قاعدة الأندلس تعرف بمدينة الأدب و اللّهو و الطّرب، وبعد سقوط الدّولة العامريّة، وفساد السّلطة في قرطبة اتجهت نحو الاستقلال، اشتهرت فيها عائلة غنية تمتلك المال والجاه والشهرة في العلوم الدّينية والأدب وهم (بنو عبّاد)، وحينما بدأت الفتنة قام إسماعيل بن عباد بحفظ النّظام و ضبط الأمور فيها[37].

3/بنو ذي النون بطليطلة: هم ملوك طليطلة من أكبر ملوك الطّوائف، لهم دولة عظيمة، وبلغو درجة من التّرف و البذخ، يضرب بهم المثل عند أهل المغرب، وقد كان للمأمون من بني ذي النون مواقف مشهورة، حيث سيطر على قرطبة وسلبها من يد ابن عبّاد المعتمد، وأيضا أخد بلنسية من يد ابن أبي عامر .

4/ بنو الأفطس ببطليوس: بنو الأفطس من المعروفين في ملوك الطوائف، أشتهر فيها المظفر الذي ألّف نحو خمسين مجلدا الذي قتل على يد يوسف بن تاشفين .

5/ بنو هود بسرقسطة : من بين ملوك الطوائف بنو هود ملوك سرقصطة، حيث كان المقتدر بالله وابنه يوسف المؤتمن المشهورين فيها حكم بعده ابنه المستعين الذي أخذ طليطلة، وتحت حكمه كانت وقعة وشقة ودافع عن المسلمين وهو شهيد[38].

---

[35] ملوك الطوائف: مصطلح أطلق على الأمراء الذين حكموا إمارات الأندلس بعد تدهور الخلافة الإسلامية وسقوط دولة العامريين، وقد بدأت فترة حكمهم أوائل ق 5هـ حتى أواخره و يمتد تاريخيا من 422هـ/484هـ . عائشة عويسات ، شعر الأسر في عصر ملوك الطوائف – دراسة تداولية المعتمد بن عباد عينة –، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة 1438هـ/20017م، ص 13 .

[36] المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (م س) ، ص 437

[37] عمر إبراهيم توفيق ، صورة المجتمع الأندلسي ف ق5هـ (سياسيا ، إجتماعيا ، إقتصاديا)، المرجع السابق ، ص44 .

[38] المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (م س) ، ص 441، 442 .

مجمل القول أنّ منذ اعتلاء عبد الرحمان شنجول الذي عرف بميله إلى حياة اللّهو منصب الحكم انقلبت أحوال الأندلس رأسا على عقب بعدما كانت في أوجّ قوتها وتماسكها، فنشبت فتن وحروب أهليّة أصبحت من خلالها الأندلس غير قادرة على توفير الأمن والاستقرار والقضاء على تلك الصّراعات؛ فقد عمل كلّ أمير وملك على إنشاء دويلات خاصة به بعيدا عن السّلطة الأندلسية الضّعيفة، ومن هنا بدأ عصر ملوك الطوائف.

الفصل الأول: المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف

(دراسة التركيبات و المرجعيات)

1/ التّركيبة الاجتماعية

2/ التّركيبة الطبقيّة

3/ المرجعيّة اللّسانيّة والدّينيّة

4/ مكانة المرأة في هذا العصر

1/ التركيبة الاجتماعيّة:

يتكوّن المجتمع الأندلسي من عناصر شتى؛ تنوّعت أصولها البشريّة حتى أصبح من الصّعب التّمييز بينها، ومن بين هذه العناصر نجد:

أ/العرب :

يعتبر العرب من أبرز عناصر المجتمع الأندلسي، وأهم سكانه من ناحية القيادة والسّيطرة على البلاد، ويعود نسبهم إلى (عدنان، قحطان، قضاعة)، وقد جاءت هذه الفئة مع القائد موسى بن نصير (93هـ ،712)، واستقرّت بعد الفتح، وسمّي هذا العنصر بالبلديين الذين بلغ عددهم ثمانية عشر الف عنصر أكثرهم من العرب والموالي و البربر وقد سبقت هذه الفئة أعداد قليلة في جيش طارق بن زياد كما يروي صاحب أخبار المجموعة "دعا موسى مولى له كان على مقدّمته يقال له طارق بن زياد فبعثه في سبعة ألاف من المسلمين جلهم من البربر و الموالي وفيهم العرب بعدد قليل"[1]، كما تعدّدت أفواج العرب فمن أشهرها الفوج الذي قدم للأندلس مع بلج ابن بشير القشيري سنة 124هـ أطلق عليهم طالعة البلج ، كما أصبحوا يلقّبون بالشّاميّين تمييزا لهم عن الطّلائع الأولى التي كانت في مرحلة الفتح، وبعدها استقرّت وسمّيت (بالبلديين)، حيث بلغ عددهم نحو عشرة آلاف منها ثمانية آلاف من العرب و ألفين من الموالي[2] .

وقد دار بين الشّاميّين والبلديّين نزاع، فضلا عن مجيء عدد من العرب (الشّاميّين) مع أبي الخطار اليمني سنة 125هـ لإنهاء هذا النزاع وإقرار الأمن والنّظام بالأندلس[3]، حيث سكن العرب منذ البداية المدن وتركوا للمولّدين مهمّة العمل و الفلاحة[4] ، بالإضافة إلى قدوم موجة جديدة من القبائل العربيّة من الأمويّين وأنصارهم خلال فترة تأسيس الإمارة الأمويّة بالأندلس بقيادة عبد الرحمن الدّاخل ، وكان ذلك نتيجة إضطهاد العباسيّين للأمويّين وأنصارهم بالمشرق، فقد اندفعوا إلى الأندلس للاستقرار بها والإقامة فيها، و قد كان عدد كبير من التّابعين الدّاخلين إلى الأندلس ، ذكر القيرواني أنّ عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التّابعين يفقّهون أهل إفريقية، وأن ثلاثة منهم دخلوا الأندلس مع موسى بن نصر وهم: أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الأنصاري، و حيان بن أبي جبلة القرشي ، و أبو تمامة بكر بن سوادة الجذامى، كما ذكر المقري و غيره أسماء آخرين من التّابعين الذين دخلوا مع موسى أو بعده إلى

---

[1] صلاح خالص، إشبيليا في ق5هـ، (د ط)، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1965، ص 29، 30 .

[2] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ /755- 1030م)، (م س)، ص 15 .

[3] محمد سعيد الدغلي ، الحياة الإجتماعية في الأندلس، ط1، ص 19 .

[4] صلاح خالص، إشبيليا قي القرن الخامس الهجري، (م س)، ص 22 .

الأندلس، ومن بينهم: المغيرة بن أبي بردة الكناني، علي بن رياح بن نصر اللّخمي، و عياض ابن عقبة بن نافع الفهري [1]، ومن بين هذه القبائل نذكر :

أ/بلنسية [2]: استقرّت فيها قبيلة معافر و منهم بنو جحاف ، إمتهنوا الفلاحة، و تمتّعوا بنفوذ كبير.

ب/ بنو زهرة : استوطنوا إشبيلية، لهم مكانة رفيعة .

ج/بنو رشيق : تمركزوا في إشبيلية و غرناطة .

د/ بنو ربيعة : تمركزوا في واي أس .

هـ/بنو أسد ، بنو خزرمة و بنو عطية : تمركزوا في غرناطة و قرطبة [3]

و/الوقشيون و الكنانيون : المنتسبون إلى كنانة، وجلّهم في طليطلة، و إليهم ينسب الوقشيون و الكنانيّون الأعيان الفضلاء [4].

ز/هذيل :بنو مدركة ابن إلياس بن مذر ، تمركزوا في مدينة أريولة.

ح/ بنو هود : تسلّموا حكم سرقسطة، و كان منذر بن يحي التجيبي هو أوّل من حكمها في عهد الخليفة الأموي المستعين بالله سليمان بن حكم بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر، و كانت في شرقي الأندلس .

ط/ بنو يخزوم إبن يقضة إبن مرة والبعض من **بنو ميمون** : في جزيرة شنقرة [5].

أنساب العرب :

يرجع جميع العرب إلى ثلاث أنساب (عدنان ، قحطان ، قضاعة)[6] و هكذا ظلّ الأندلسيّون يحفظون أنسابهم و يفتخرون بها و بالصّلة التي تربطهم بالقبائل العربية حتى بعد إختلاطهم بغيرهم من العناصر الأخرى في الأندلس و قد شكلوا نواة الأرستقراطية و البرجوازية في المدن ، إلى أن قطع ذلك أبو عامر من خلال تشتيتهم، وهو ما أضعف العنصر العربي الذي حاصره في الفتن و الثورات .

---

[1] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138- 422هـ/755- 1030م)، (م س)، ص 16، 17.

[2] بلنسية : من المدن الرومانية في شرق الأندلس أقامها الرومان سنة 138 ق- م نزل فيها جونيوس بروتوس، بعد موت الثائر فيرياث بعض أجناد روما الأوفياء، الذين ظلوا يرتبطون مع رومة برابطة الولاء . (ينظر: كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، (د ط)،،ص 57 .)

[3] خميسي بولعراس، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400-479هـ/1009-1086م، رسالة ماجستير (مخطوط) جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1428هـ/2007م ، ص39 -41 .

[4] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ /755- 1030م) ، السابق ، ص 17 .

[5] خميسي بولعراس، الحياة الإجتماعية الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400- 479هـ/1009-1086م، المرجع السابق، ص،3-41.

[6] إبن حزم الأندلسي ،جمهرة أنساب العرب، ط5 ، (تح) عبد السلام محمد هارون، دار المعارف ص 31.

1/العدنان :و هو من ولد إسماعيل بالاتفاق إلى ذكر الآباء الذين بينهم و بين إسماعيل ، و غير عدنان من ولد إسماعيل قد انقرضوا فليس على وجه الأرض منهم أحد [1]، و تشكّل العدنانيون من خندف و منهم قريش [2] و قد سكنوا مع القحطانين بإشبيليا و نواحيها ، البيرة و غرناطة ، بطليوس ، و بعض الأماكن سكنها العدنانيون فقط جيان ، باجو و لبلة ، أو نبه ، وطليطلة [3]

2/ قحطان : قيل من ولد إسماعيل وفي هذا السياق يقول الرسول صلى الله عليه و سلم: "إرموا يا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا " [4] و قد عرفوا باليمانية الأكثر بالأندلس فإن القرشية قدمته على الفرقتين. يقول المقري عنهم: " وهم الأكثر في الأندلس ، و الملك فيهم ارسخ إلاّ ما كان من خلفاء بني أمية ، فإن القرشية قدمته على الفرقتين " و حسب ما أحصى مجموع ما ذكره إبن حزم و إبن غالب و أبن السعيد أن قبيلة اليمن (القحطانيون)كانوا 52 قبيلة ،كثيرا ما كان يقع بينهم و بين المضرية وسائر العدنانية الحروب بالأندلس[5] ، فقد كانوا يتواجدون بأماكن الذين ينزل بها العدنانيون (تدمير ، ريه ، مالقا ، شذونة ، إستجه ، و مرور ، الجزيرة الخضراء) و تواجدوا بأماكن وحدهم فقط (قلعة رباح ، دلاية ، قرية صالحة "قرب مالقا" ، قلعة خولان ، برشلونة ، دار بلى)[6] .

3/ قضاعة :قيل أنها حمير قالها إبن إسحاق و الكلبي و قد يحتج لذلك بما رواه ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الجهني "قال : يا رسول الله (صلى الله عليه و سلم) ممن نحن ؟ قال: أنتم من قضاعة بن مالك، و قال عمر بن مرّة وهو من الصابي : نحن بنو الشيخ العجاز الأزهري قضاعة بن مالك بن حميْر" [7] .

طبقات العرب :

1/ العرب العاربة : تعتبر نت أهم الطبقات بعد قوم نوح أعظمهم قدرة و أشدهم قوة و أولى أجيال العرب من الخليفة ، فهم شعوب كثيرة و هم (عاد ، ثمود ، طسم ، جديس ، أمين ، عبيد ، عبد ، ظخم ، جرهم ، حضر موت ، حضورة ، سلفات) سمي أهل الجيل بالعرب العاربة بمعنى الرساخة في العروبية كما يقال : لم يبق على وجه الأرض أحد من نسلهم .

---

[1] إبن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر،ج2،(د ط) دار الفكر، ص290،289 .

[2] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ /755- 1030م)، السابق، ص 17 .

[3] حسن مؤنس، فجر الأندلس،ط (1)، دار الرشاد، القاهرة ، ص 301 – 303 .

[4] إبن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصر من ذوي الشأن الأكبر، ج2 ، ص 290 .

[5] حسين يوسف دويدار،المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138 422هـ /755 1030م)، (م س)، ص 18 .

[6] حسن مؤنس، فجر الأندلس، (م س)، ص301 -303 .

[7] إبن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر،ج2، (م س)، ص 290 .

2/ العرب المستعربة : سمّيت هذه الطّبقة بهذه التّسمية لانتقال السّمات والعشائر العربية إليهم؛ فقد كانت اللغة العربية هي اللّغة السّائدة لديهم، وهم أقدم الأمم، فيها عرف هذا الجيل بالأصالة، و عرفوا عند العرب باليمنية السبئية .

3/ العرب التابعة للعرب : هذه الأمة من العرب البادية (أهل الخيام) الذين لا أخلاق لهم هم أكثر أجيال الخليفة يتمركزون في الأقاليم و المدن، يهلكهم الترف و التهكم ، يغلبون عليهم و يقتلون و يرجعون إلى باديتهم ، إنتشروا باليمن و الحجاز ثم العراق و الشام[1] .

العصبية القبلية بين العناصر العربية في المجتمع الأندلسي:

إن العصبيّة القبليّة[2] التي كانت حول السّلطة و الحكم و الثروة شكّلت منطلقا أساسيّا لتشكيل الأحداث التاريخية التي سادت خلال هذا العصر بين الشاميين و البلديين ، الذين لم يقبلوا أن يزاحمهم الداخلون الجدد و يقاسمونهم خيرات البلاد، فطالبوهم بالخروج من بلادهم، و كان هذا سببا في النزاع الطويل بين اليمنيين و المضريين أو الكلبيين و العدنانيين ، حيث اشتدّ الصراع و بلغ ذروته في معركة برطورة سنه 124هـ بين جيش أمية و قطن أبي عبد الملك ابن قطن فاقتتلوا قتالا شديدا، و كان الانتصار للشاميين .

بعد دخول عبد الرحمان بن معاوية إلى الأندلس سنة 138هـ أحيا هذا الصّراع من جديد في قرطبة، و من جهة أخرى ساهمت الهجرات المتتالية بإعادة تشكيل خريطة توزيع العرب في الأندلس ، فقاموا بنقل عصبيتهم و تحالفاتهم القبلية إلى المجتمع الأندلسي إلى أن جاء المنصور ابن أبي عامر الذي عمل على تشتيت هذه القبائل، و قطع التحامها و تعصبها بالاعتزاز بالأنساب، و هكذا انتهى تاريخ الصّراع المرير بين العصبيّات بعد انصهار المجتمع الأندلسي .

يقول إبن خلدون "إن الأندلس ليست بدار عصائب و لا قبائل" [3] .

ب/ البربر :

بعد انتشار الإسلام و اللغة العربية في شمال إفريقيا أدّى بالبربر إلى فهم تعاليم القرآن ، فتمسكوا بآدابه و تعاليمه السّامية ، فأصبحوا من أكبر دعاته مجاهدين في سبيله، دعّموا الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية[4] .

---

[1] نفسه، ج2، ص 283، 284 .

[2] إن فكر التعصب يتضمن عنصرين أحدهما إجابي و إعتقاد المرأ لأن الفئة التي ينتمي إليها سواء كانت قبيلة أم وطنا أم مذهبا فكريا أو دينيا أسمى من بقية الفآت و الثاني سلبي و هو إعتقاد الفرد بأن تلك الفـءة الأخرى أحط من تلك التي ينتمي إليها (محمد عامر أحمد الجعفري، أثر العصبية في الأدب الأندلسي حتى بداية عصر الموحدين ، ص 6.

[3] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس، ط1، دار الناية المحاكاة، سورية دمشق، ص73 .

[4] نفسه، ص 63، 64 .

العنصر البربري (موقعه الجغرافي) : البربر هم سكان شمال إفريقيا ما يعرف ببلاد المغرب التي تمتد من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي ، أطلق العرب كلمة بربر في عهدهم على الأمة التي تسكن ساحل إفريقيا لأنهم يتكلمون بلغة غير مفهومة[1]، ويكثرون التلفّظ بحرف الباء و الراء [2]. ذكر إبن خلدون أحد الملوك التابعة في اليمن يدعى إفريقش بن قيس غزى بلاد المغرب فبنى فيها المدن و الأنصار فسميت باسمه و انتسبت إليه و أنه سمع السكان يتكلمون بلغة غير مفهومة "ما بربرتكم "[3]، لهم لغة و عادات و تقاليد خاصة بهم ، توغّلوا في البراري و الصحاري[4]، بحيث استقرّت بعض القبائل في المناطق السّاحلية أو الجبلية الممتدة على طول البحر كعنصر البتر و البرانس ، عاشوا حياة الاستقرار على الزراعة؛ لذلك أشتد ارتباطهم بالأرض و قد وصفهم ابن خلدون: " بأنهم أوفر قبائل البربر عددا و حسبنا أنهم مثلوا نسبة عالية من السكان إذ لا يخلوا بطن من بطونهم في جبل أو بسيط " و تمركز البعض الأخر في القرى الصحراوية [5].

قسم الجغرافيون العرب هذه البلاد إلى ثلاثة أقسام بعد الفتح الإسلامي لها و هي :

المغرب الأدنى (إفريقية) و قاعدتها قيروان ، المغرب الأوسط قاعدته تلمسان ، المغرب الأقصى قاعدته فاس ، و كان العرب يستعملون لفظ إفريقيا ليشمل المغرب الأدنى و الأوسط [6].

نسب البربر :

اختلف المؤرخون و الكتّاب على نسب البربر ، حيث نسبوا إلى مهاجر عربي من ضمير يسمى (بر بن قس)، و أنه عندما هاجر إلى بلاد المغرب لم يفهم لغة أهلها فسماها البربرة و هم البربر[7] ، كما أطلق الرومان أيضا اسم (برباري) بمعنى عير متحضر كانوا يعتبرونهم غرباء على حضارتهم، و قد حاول مؤرخون آخرون إرجاع نسبهم إلى أصول عربية، ويؤكّد ابن خلدون ذلك فيروي عن البكري : أنه كان لمصدر ولدان هما قيس بن عيلان من مضر و ذلك يفتخر أحد الشعراء البربر بقوله :

أَيهاَ السَائل عن أصلناَ قيس عَيلاَن بنوُ المغَر الأول

---

[1] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138_422هـ / 755-1030م) ، (م س)، ص 21 .

[2] وليد محمد علي قاسم، مدينة دانية في بلاد الأندلس و أوضاعها الإقتصادية و الإجتماعية من ق 5 حتى أواخر ق 7 هـ، ج3، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، 2019م، ع 37، ص257 .

[3] إبن خلدون، العبر، ج6، ص 106 .

[4] وليد محمد علي قاسم، مدينة دانية في بلاد الأندلس و أوضاعها الإقتصادية و الإجتماعية من ق 5 حتى أواخر ق 7 هـ، (م س)، ص 257 .

[5] إبراهيم القادري بو تشيش، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، (د ط)، دار الطليعة، بيروت، ص 11 .

[6] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأندلسي (138 422هـ /755- 1030م)، (م س)، ص 21 .

[7] حسن مؤنس، معالم تاريخ المغرب و الأندلس،دار الرشاد، ص 23 .

إن قيسا قيسَ عيلاَن هم معدن الحق علىَ الخيرِ دال[1]

في حين تناقض المسلمين في تحديد أصول البربر إذ يرى ابن خلدون "وإلى ما يرجع نسبهم من الأمم الماضية ، فقد اختلف الناسبون في ذالك اختلافا كثيرا

البربر من ولد إبراهيم من إبنه نقشان .

البربر يمنيون هاجرو إلى المنطقة .

البربر من قبائل غسان الذين تفرقوا بعد سيل العرم .

البربر من لغم و جام سكان فلسطين الذين طردهم الفرس

البربر من ولد النعمان بن حميد بن سبأ .

البربر من قوم جالوت .

البربر من كنعان و العماليق أنزلهم إفريقش إفريقية[2]

و يؤكد كذلك إبن خلدون " أنهم من ولد كيفان بن حام " وقد أرجع بعض القبائل البربرية إلى أصل قبطي.

وقد أجمع المؤرخون على تقسيم البربر إلى فرعين رئسين البتر و البرانس. يقول ابن خلدون : " و أمّا شعوب هذا الجيل و بطونهم فإن علماء النسب متّفقون أنهم يجمعهم جذران عظيمان و هما : برنس و مادغيس و يلقب مادغيس بالأبتر كذلك يقال لشعوب برنس البرانس و هما معا إبنا برَ"، و أرجع وليام مارسي أن لفضتي بتر و برانس من اسم اللباس الذي يلبسونه أي البرنس الطويل المخروطي ، و قابل البرنس القصير المستور إذ انتقد هذا الإفتراظ؛ لأنه لا ينطبق على القبائل البربرية لأن مسألة البتر و البرانس مسألة غامضة ناهيك عن عدم ثبات أصولها التاريخية[3]

عناصر البربر :

إن هجرات القبائل البربرية أشد كثافة من هجرات القبائل العربية في الأندلس، و هذا راجع إلى قرب منازلها في العدوة من شبه الجزيرة الإيبيرية و إلى رغبتهم في نشر الإسلام بالإضافة إلى استقرارهم بالبقعة الجديدة التي تتميز بالرطوبة و

[1] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأندلسي (138 422هـ /755- 1030م)، (م س)، ص22، 23.

[2] بن براهيم خديجة، الدور السياسي و العسكري للبربر في الأندلس على عهد الخلافة الأموية، مذكرة ماستر، (مخطوط)، إشراف طويلب عبد الله، جامعة الطاهر مولاي، سعيدة، 1438 هـ/2017م، ص 15، 16 .

[3] إبراهيم القادري بوتشيشة، مباحث في التاريخ الإجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين، السابق، ص 11 .

الخصوبة و جمال الطبيعة [1]، فقد كان البربر من أسبق العناصر البشرية التي دخلت إلى الأندلس ، وكانت أول مجموعة دخلت الأندلس هي [2]:

أ/ طالعة طارق بن زياد : عام 92هـ التي حققت انتصار في معركة واد لكة تكونت من إثني عشر ألف رجل حسب بعض الروايات أغلبهم برابرة .

ب/ الطالعة الثانية : كان دخولها مباشرة بعد سماع خبر النصر الذي حققه طارق، و هذا لكثرة الغنائم، و كان عددهم كبير جدا حسب قول المقري في كتاب (نفح الطيب) "وتسامع الناس من أهل العدوة بالفتح على طارق بالأندلس و سعة المغانم فيها فأقبلوا نحو من وجه و خرقوا البحر على كل ما قدروا عليه من مركب وقشر فلحقوا بطارق "

ج/ الطالعة الثالثة : دخلت مع موسى بن نصير عام 92هـ إلاّ أنّ عدد أفرادها كان قليلا مقارنة مع عناصر العرب و البربر ، بحيث أن القبائل العربية الداخلة إلى الأندلس انقسمت إلى بتر و برانس ، أما منازل البربر كانت على طول الطريق التي اتبعتها حملة طارق[3]، ويذهب ابن خلدون أن جموع البربر التي دخلت الأندلس مع الفتح و بعده بقليل كانت من قبائل مطغرة و مديونة و مكناسة و هوارة و هذه القبائل كلها من الزناتة أو من البربر البتر و كله أشبه بالشعب الكبير الذي تنفر عنه القبائل الصغيرة [4] .

وقد استقر البرابرة بالمناطق الجبلية الأندلسية ذات البيئة الطبيعية المشابهة للبيئة التي نزحوا منها في بلاد المغرب[5]، وأصبح البربر فاعلين في الأمور الفقهية و الأدبية، إذ استطاعوا أن يحتلّوا مكانة مهمّة في الأندلس في حين لم يسيطروا على الحكم في هذه الفترة [6]؛ لأنّ الحكم ظلّ محتكرا من قبل العرب ، منعوا البربر من خيرات الأندلس و حرموهم منها، وسيطروا على زمام الأمور، ولم يقف الأمر عند ذلك فقط بل تعدّى إلى سوء المعاملة و الإهانة؛ فقد كانوا يتعرّضون للعقوبات القاسية لأتفه الأسباب.

---

[1] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 74 .

[2] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندبسي في العصر الأموي (138 422هـ / 755-1030م)، المرجع السابق، ص 28 .

[3] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس، (م س)، ص 74 .

[4] حسين مؤنس، فجر الأندلس، السابق، ص 307 .

[5] عمر بوخاري، البربر في الأندلس في عهد الطوائف خلال (5هـ /11م)، رسالة دكتوراه (مخطوط)، إشراف نصر الدين بن داود،جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1436 هـ/2015، ص 29 .

[6] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس، السابق، ص 77 .

ثورات البربر :

لقد قام البربر بالعديد من الثّورات في عهد الحكم بن هشام شأنهم شأن بقية العناصر المتنازعة ففي عام 190هـ (705-706م) اندلعت ثورة ماردة بقيادة الأسبغ بن عبد الله بن ونسوس ، التي كان سببها بعض الوشاة الذين أوقعوا بينه و بين الأمير الحكم بن هشام، و يذكر حينها وحينها اضطر الحكم أن يخرج ، ويذكر إبن عذاري أن الحملات و الغزوات التي ترددت إلى ماردة حوالي 7 سنوات لإخماد ثورة الثائر البربري[1]، بالإضافة إلى ثورات أخرى نذكر منها: الثورة التي اندلعت خلال عبد الملك بن قطن، وثورة سفيان إبن عبد الواحد المكناسي سنة 152هـ، ثورة بتاكونة في عهد الأمير هشام الذي استطاع إخمادها في المدينة لكنها بقية خالية 7 سنوات، وكذلك ثورات عام 190/183هـ خلال حكم بن هشام [2]

أسباب هجرة البربر إلى الأندلس : كانت الهجرات الوافدة من شمال إفريقية إلى الأندلس مستمرة دون انقطاع من العنصر البربري من العرب الذين جعلوا من هذا البلد الجديد موطنا لهم، و من بين دوافع هذه الهجرة :

1/ رغبة البربر في الجهاد و نشر الإسلام.

2/ تمتع الأندلس بالثروات الطبيعية .

3/ إستغلال البربر لثروات الأندلس بهدف تحسين أوضاعهم المادية .

4/ قرب الحدود الأندلسية مما سهل العبور إليها .

ويبقى تاريخ البربر تاريخا عظيما، لكونهم السابقين في فتح الأندلس و نشر الإسلام بها، حيث احتلوا مكانة هامّة و سيطروا على الأندلس بالرغم من استبداد العنصر العربي بهم.[3]

ج/ المولّدون :(المسالمة أو الموالي)

عاش إلى جانب العرب و البربر عنصر ثالث و هم المولدون أو الموالي، بحيث شكلوا جزءا كبيرا من سكان الأندلس نتيجة الزواج المختلط؛ أي من آباء مسلمين و أمهات إسبانيات، نشأوا على الإسلام و كانوا على عهد أمراء بني أمية وعاشرو أهل البلاد وإختلطو بهم و يعد هذا العنصر الغالب في الأندلس .

أصل التّسمية : ترجع لفظة المولدين إلى من أسلم من أهل الأندلس و من سارع إلى اعتناق الإسلام من الإسبان كما ادّعى بعض المولدين النسب العربي و دفعوا في تلفيقه مالا كثيرا ليسمح لهم بالزهو و التفاخر[4].

---

[1] سامية مصطفى مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس، ط 1، (93هـ،422)،(د د)، ص 62 .

[2] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 77، 78 .

[3] خميسي بولعراس، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف،400-479هـ/1009-1086م، المرجع السابق ، ص 44 .

[4] راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة، ط1، (د د)، ص 249 .

فالموالي هم الأقوام و الشعوب الذين دخلوا بلاد الأندلس خلال حقبة الحكم الأموي مع طلائع جيوش الفاتحين كطالعة بلج بن بشر[1] و هم الجيل الذي ولد من أباء مسلمين سواء كانوا عربا أو بربرا ، و امهات أعجميات سواء كن إسبانيات أو غير ذلك [2].

انتماءاتهم :

لم ينتم الموالي إلى عرق واحد بل من أجناس مختلفة ، البعض منهم من أصل فارسي مثل بني جهور و بعضهم من أصل رومي مثل يسيل مولى هشام بن عبد الملك ، و آخرون من أصل بربري مثل البربر الذين سكنوا في مدور و بنو فرج ، موالي بني مخزون الذين استقروا بمدينة فرج و كانت فئة منهم من أصول عربية أشهرهم بنو عبدة ، حسان بن مالك إضافة إلى العناصر المحلية من أصول صقلبية [3].

ويعتبر المولدون عنصرا من عناصر الإسبان خضعوا عن رضى للفاتحين و منهم من اعتنق الإسلام و لزموا مساكنهم القديمة فهم عناصر التقى فيها البربري و العربي و اللاتيني و القوطي ، و أول من أقبل على الزواج من النصرانية هو الأمير عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأرمة لذريق المسمات إيخلونة التي عرفت بأم العاصي[4] ، و منهم من أسلم بعد الفتح و استقر ، و هذا الصنف من الأجناس من الروم ، الجلاقطة ، القشتاليون ، الأوراغونيون ، و منهم من كان من اليهود استقر بعد الفتح و أسلم عند الفتح أو بعد الفتح ، أطلق عليهم المؤرخون العرب لفظ مسلماني جمعها مسالم [5].

و ينتمون إلى كلب بنو ويرة و أطلق العرب على العناصر الأولى التي دخلت الأندلس من الموالي البلديين كما اعتبروا أنفسهم تابعين للبيت الأموي لكن في الرحلة اللاحقة انضمّت إليهم عناصر أخرى قدمت من المغرب ، دخلت إحداهما في عهد الحكم ابن هشام و الأخرى قدمت إلى الأندلس في عهد عبد الرحمان الأوسط و هم بنو عبد الوهاب ابن رستم من تيهرت بالمغرب[6].

مراكز الموالي بالأندلس :

تمركز أغلب الموالي في الأندلس بألبيرة و الجيان و تاكرونة في مدينة قريش خاصة في إقليم موالي موسى .

---

[1] وليد محمد علي قاسم، المظاهر اللإجتماعية، المرجع السابق، ص 258 .

[2] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138- 422هـ /755-1030م)، ص41 .

[3] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس، المرجع السابق، 78-81 .

[4] محمد أمين ولد أنّ، النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين (422-539هـ/ 1030-1141م)، رسالة دكتوراه، (مخطوط)، إشراف عبد القادر بوباية، تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 1434هـ/2013م، ص 23 .

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف2،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت / لبنان، ص 249 .

[6] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعة مسيحية وإسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 79، 80 .

– مركز غرناطة ، طليطلة ، إشبيليا و قرطبة .

–وقد عاش المولدون في الأندلس حياة دون إكراه أو ظلم ، تمركزوا في أغلب مناطقها لكن هذا الحال لم يدم إذ نشبت الحروب و الفتن بين العرب و المولدين و التي قامت بسبب العنصرية العرقية[1] .

تأثيرات المولدين على المجتمع الإسباني :

ظهرت الكثير ممن التأثيرات بعد ظهور هذه الطبقة :

1/اللغة : أثرت طبقة المولدين غلى اللغة و إن كانت اللغة العربية الفصحى هي اللغة الرسمية للأندلس ، فهي لغة القرآن و اللسان الحضاري على مدى تاريخها ، كذلك كانت لغة الشعر و النثر و الوثائق الرسمية و التعليم و التفاهم في العلاقات الدّولية [2].

و تمكن المولدون من اللغة الرومانثية الإسبانية وهي لهجة متفرعة عن اللاتينية، كانت متداولة من قبل في شبه الجزيرة استعملت و نافست اللهجة العربية الأندلسية، تعرف باللهجة العجمية التي لابد من تحويلها إلى شكل عربي ، و أصبحت العربية غنية بمجموعة من الكلمات الرومانثية [3].

العجمية : هي لغة مشتركة كان يتخاطب بها الأندلسيون و سموها العجمية لاختلاف لهجتها عن العربية ، يسميها إبن حزم اللاطينية ذلك في حديثه عن قبيلة تلي التي تمسكت باللسان العربي و لم يتمكن أفرادها من التّخاطب باللاطينية ، كما يطلق عليها أيضا الرومنثية و هي لغة شائعة في الأندلس، وبذلك أصبح للمجتمع الأندلسي إزدواجية في اللغة [4].

الحياة الاقتصادية للمولدين :

قام عنصر المولدين بدور كبير في الاقتصاد ببلاد الأندلس ، حيث كانوا يمثلون العنصر الأكثر نشاطا و الأحسن توافقا مع المستعربين و البربر ، كما قاموا بمعاونة الكثيرين على الغنى و الدخول شيئا فشيئا في المجتمع الأندلسي[5] مارسوا عدة مهن منها تربية المواشي و زراعة الأراضي خاصّة في المناطق الريفية، كذلك الأعمال البحرية في المناطق الساحلية كصيد الأسماك ، و البعض منهم عمل في النواحي الإدارية، و يذكر أنهم حققوا أرباحا طائلة في تلك الأعمال ، كذلك الأستاذ أحمد مختار العباد أنه بمرور الوقت شعرت هذه الطبقة بالنقص في حقوقها رغم أنهم

---

[1] عامر أحمد محمد الجعفري، أثر العصبية في الأدب الأندلسي، رسالة ماجستير، (مخطوط)، إشراف صلاح جرار، الجامعة الأردنية، 1998، ص22 .

[2] راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الأندلسي حتى سقوط قرطبة، المرجع السابق، ص 64 .

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف 2، المرجع السابق، ص 252 .

[4] راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الأندلسي حتى سقوط قرطبة، المرجع السابق، ص 64،65

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف 2، المرجع السابق، ص205 .

أصحاب البلاد ، كانوا يتحملون عبئ الضرائب دون أن يكون لهم نصيب كبير في ثروات البلاد، هذا ما جعلهم ينقلبون ضد أمراء قرطبة و يشنّون حربا في عصر الحكم[1].

الثورات :

قام المولدون بعدة ثورات في الأندلس منها :

الثورة التي حدثت من فتيان و فتيات المسلمين و المسلمات بحكم أنّ آباءهم مسلمون و أمهاتهم نصارى مثل قصة الفتاة فلورة و صديقها إليخيو .

ثورة طليطلة (214هـ /222هـ)(838م/829م) ثار فيها المولدون؛ بحيث قام فيها جميع الأعيان و الوجهاء في مجزرة عرفت بالحفرة سنة 181هـ/ 798م قتل فيها خمسة آلاف و ثلاث مائة و قذفوا داخل حفرة كبيرة[2] .

ثورات في عهد الحكم بن هشام :

قامت في قرطبة و طليطلة عاصمة القوط القديمة و قاعدة الثغر الأدنى ثورة المولدين ، ظهرت فيها قوى عظيمة لهم بعد تدعيم أمراء بني أمية لسلطاتهم؛ فقد اعتمد على العنصر العربي مما أدي بالمولدين إلى الشعور بالضياع في الدّولة و بهدر حقوقهم ، فقاموا بالتخلّص من سلطانهم بقرطبة الذي سلب حقوقهم 181هـ/ 797م .

ثورة الربض : اندلعت في قرطبة (202هـ /817م) و عرفت باسم ثورة الربضيين نسبة إلى الربض وهي ضاحية من ضواحي قرطبة ،كان سببها تعصب أبناء الفقهاء المتأسلمين و عدم اعتراض الفقهاء ضد الحكم الطائش ذو السلوك السيئ [3].

د/الصقالبة :

أصل التسمية : صقلب هي كلمة فرنسية قديمة تعني عبد أو رق وقد توسع العرب في استعمال هذا المصطلح على العبيد الذين جلبوهم من أية أمة مسيحية كلمباردية و قلبرية و قطلونية و صلقية (غاليسيا) [4].

و يعرفون أيضا بالفتيان، والخلفاء، و الخرس ،و الخصيان، وهذه التّسميات تتردد في المصادر التاريخية الأندلسية كما كانت تسمية الخلفاء تطلق على أكابرهم، أما الخرس لم يتمكنوا من لغة البلاد في البداية ، فكانوا أشبه بالخرس و سماهم ميتز بأستقراطية العبيد[5] .

---

[1] راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الأندلسي حتى سقوط قرطبة، المرجع السابق، ص 463 .

[2] الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 127 .

[3] سامية مصطفى مسعد، التكوين العنصري للشعب الأندلسي و أثره على سقوط الأندلس، (م س)، ص 66، 67 .

[4] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحة إسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 102، 103 .

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، المرجع السابق، ص 58 .

و يرجع أيضا أصلهم إلى الجنس اللاري (او الهندو أوروبي) و المعروف أنهم نزحوا من آسيا و توسّعوا في أروبا حتى القرن 10م[1]، و نسبهم أيضا المؤرخ الرومي (فهرشيش) أنهم من بني مغول بن يافت ، أما المسعودي ذكر أنهم من ولد ماذاي بن يافث بن نوح و إليه ترجع سائر أجناس الصقالبة و به يلحقون في أنسابهم[2]، و في مصادر إسلامية أخرى ذكر أنّ الألمان هم الصقالبة، و قد كانوا أسرى حروب بين المسلمين و جرائهم من بلاد النصارى[3] .

جاء معظم الصقالبة أطفالا من الجنسين، حيث استخدموا في الحرس و الحاشية و الجيش، و ازداد عددهم بالرغم وقد كان لهم شأن و نفوذ و مكانة عند الخلفاء، حيث وثقوا بهم [4].

وصفوا عند العرب أنهم وحوش غير مستأنسين يأكلون بعضهم البعض و السبب في ذلك بعدهم عن الإعتدال ، سعى الحكام المسلمون إلى تقريبهم واستخدامهم لخلق نمط من التوازن بين العناصر البشرية المتناحرة في البلاد و الدفاع عن الأندلس من الأعداء [5].

تمركز الصقالبة في البلاد الممتدة من بحر قزوين شرقا إلي البحر الإيدرياتيكي، و كانت تسمّى في تلك الفترة ببلغاريا العظمى[6] ، انقسموا إلى شعوب متعددة سكنت بلدان مختلفة مثل بولندا و تشيكوسلوفكيا و بلغاريا و روسيا و قسّموا إلى ثلاث أقسام :

السلاف الجنوبيون (اليوجسلاف) في الجنوب و الوسط و يشملون البلغار و الصرب و الكروات و الصلوفينيين (سكان صلفانيا) .

السلاف الغربيون : يتواجدون في بولندا و بعض أجزاء من ألمانيا و مورافيا وسلوفاكيا .

السلاف الشرقيون : أو الروس و ينقسمون إلى الروس الكبار في الوسط و الشمال ، و الروس الصغار في الجنوب و الروس البيض في الغرب[7] .

دور الصقالبة في الحياة السياسية في الأندلس :

أسهم العنصر الصقالبي في الحياة السياسية و الاجتماعية و الإقتصادية في المجتمع الأندلسي، فقد كان لهم دور هامّ خاصّة في السّياسة بعد أن أصبحوا قوة متماسكة لهم قادتهم يحكمون مدنهم و يقودون الجيوش الكبيرة، و قد أنتجت

---

[1] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138 422هـ/755- 1030م)، المرجع السابق، ص 51 .

[2] خديجة قروعي، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 102 .

[3] عامر أحمد محمد الجعفري، أثر العصبية في الأدب الأندلس، المرجع السابق، ص 27 .

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين، المرجع السابق، ص 58، 59 .

[5] عامر أحمد محمد الجعفري، أثر العصبية في الأدب الأندلس، المرجع السابق، ص28 .

[6] مؤلف مجهول،الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي، ص 57 .

[7] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138 -422هـ/755-1030م)، المرجع السابق، ص 51 .

نار العصبية عدة ثورات بين البربر و العرب تضاعف عدد الصقالبة في البلاد و أعتمد عليهم، و أصبحوا يتميزون بالقوة و الشجاعة و الإخلاص، خاصة في تلك الحروب التي نشبت مع الثوار المخالفين للحاكم ابن هشام الربضي من أهل طليطلة و عبث الفرنج في الثغور ، بلغ عدد مماليك الصقالبة خلال هذا العهد نحو 5 آلاف و قد ظهرت منهم أمور قبيحة تسترو عنهم فقد قيل : "هم أمنائنا و ثقافتنا على الحرب ، فينبغي للرّعية أن تلين لهم و ترفق في معاملتهم إذ ليس في كل وقت الإنكار عليهم ".

ولم تقتصر خدمتهم على الدفاع فقط، بل أنشأ الناصر جيشا من مماليك الصّقالبة، فقد كان حظّهم في الأندلس أوفر من حظّهم في عهد المماليك و الأتراك و العباسيين ، إذ أصبح منهم قوّاد خاصة للخليفة و جلسائه، والدليل على تلك المنزلة التي وصل إليها الصّقالبة هو بلوغ عددهم في مدينة الزاهرة لحين وفاة الناصر 350 هـ، الذي أحسن شأنهم، حيث إستحجب جعفر الصقلبي الفتى الكبير الناصري 351هـ و كان ميسور الفتى الكبير الكاتب الصقلبي من المقربين له و قد ارتقى شأنهم حتى وصل الأمر بهم في التدخّل في شؤون البلاد كذلك ، فحاولوا تنصيب المغيرة خليفة على المسلمين و هو من كبار فتيان الصقالبة لولا جعفر المصحفي و محمد بن أبي عامر اللّذان قطعا عليهم الطريق بقتل المغيرة و مبايعة هشام بن الحكم رغم صغر سنه ، وكانوا أشد جمعا عند وفاة الحكم [1].

وقد اعتقدوا أن الملك بأيديهم مما جعل أبو عامر ينتبه للأمر، فما إن تولّى الحكم حتى حاول القضاء عليهم لكن سرعان ما عاد يعتمد عليهم في أمور الجيش و الدولة، ليصبحوا بذلك اعنصر هامّا لا يستغنى عنه خاصة بعد تمتّعهم بمكانة عالية في شؤون الحرب و الحكم و أصبح يطلق عليهم اسم الصقالبة العامريين[2] .

د/اليهود :

شكّل العنصر اليهودي النسيج الاجتماعي لإسبانيا القوطية، إذ يرى بعض الباحثين أنّ القواعد التي قامت عليها الفتوحات الإسلامية رغبة منهم في التّخلّص من الاستبداد الذي عاشوه تحت الحكم الرومي و القوطي .

أصل التسمية : تعدّدت تسمية اليهود عبر العصور فتسمية يهودي هي التسمية الثالثة بعد الترتيب الذي عرف به اليهود و تأتي بعد تسميتي (عبري و إسرائيلي)، وعليه فإنّ فإن تسمية يهود من الهوادة وهي الهودة أو التهود ، و هي التوبة[3]

---

[1] عامر أحمد محمد الجعفري، أثر العصبية في الأدب الأندلس حتى بداية عصر الموحدين، المرجع السابق، ص 27- 29 .

[2] نفسه، ص 28 .

[3] محمد الأمين و لد أنّ، النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 14، 15 .

أهم المناطق التي استقرّ بها اليهود في الأندلس :

أ/ قرطبة : أقاموا طوال مدة حكم بني أمية في الأندلس

ب/ طليطلة : استقرّ العنصر اليهودي خلال الحكم الإسلامي فيها .

ج/ غرناطة : عاش اليهود فيما بين المسلمين بموجب حكام أهل الذمة التي تتسم بالتسامح و العمل

د/ إشبيليا : وجد المسلمون العنصر اليهودي بها و تمركزوا في قصبة المدينة .

هـ/ برشلونة : تواجدوا فيها بنسبة كبيرة حيث عادلوا النصارى. يقول الحميري: "و برشلونة كثيرة الحنطة و العسل و اليهود بها يعادلون النصارى كثرة "[1].

وقد تمركز اليهود في معظم المناطق حيث كان اهم حي مخصص يقع بين الرصيف و قصر الخلافة بقرطبة يحمل اسم اليهود و إن كان يخلو من اليهود إلاّ أنه بقي اسمه ، كما كان فيه دور المسلمين[2] .

ديانتهم : كانت ديانتهم من يؤمن بها يعتنقها يمارس طقوسها و شعائرها لذلك ينسب مصطلح يهودي إلى الديانة اليهودية التي تعرضت للاضطهاد و الذل بعد الاستقرار في إسبانيا ، وقد أهملت معظم الكتب و التراجم لأسباب مجهولة الحديث عن الديانة اليهودية، كما أهمل وقت وصولهم إلى أرض إسبانيا [3].

ولم يستطع اليهود فرض دياناتهم و شعائرهم في المجتمع الأندلسي، و لم يستطيعوا التخلّص من الاضطهاد و الدونية فقاموا بالانعزال في أحياء خاصة بهم لممارسة شعائرهم الدينية كحي اليهود بقرطبة، ويرجع ذلك إلى سلوكياتهم التي تثير سخط الغير عليهم، كما أرغموا على اعتناق المسيحية، و كانت وضعيتهم في إسبانيا الرومانية و القوطية صعبة جدا مما أدّى إلى اختطاف أبنائهم من قبل النّصارى ليعلّموهم النصرانية[4] .

وقد شكّلوا طبقة قليلة من حيث العدد، إذ قام الكثوليك و الأريوسي باضطهادهم و اتّهموهم بالتآمر على سلامة الدّولة ، قام خلاف حاد بينهم و بين النصارى و هذا بسبب مخالفتهم لعقيدة التثليث النصرانية، إتخذ المجلس الكنيسي قرارات جد صارمة ضدهم و بصفة رسمية، وهذا بعد اعتناق الملك ريكاردو المسيحية وقدم اقتراحات

---

[1] أريج بنت عوض بن طريخم الخماشي، الوجود اليهودي في الأندلس منذ عصر الإمارة و حتى نهاية عصر الطوائف، رسالة ماجستير (مخطوط)، إشراف وفاء بنت عبد الله بن سلمان المزروع ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1437هـ/2016م، ص 70-81 .

[2] محمد عبد الوهاب خلاف، قرطبة الإسلامية في ق11م و 5هـ، (دط)، دار التونسية، ص 266.

[3] محمد ولد أمين أنّ، النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 15 .

[4] خديجة قروعي، ظواهر اجتماعية مسيحة إسلامية في الأندلس، المرجع السابق، ص 97، 98 .

للمجلس منها منع استخدام اليهود للمسحيين في أيّ نوع من الأعمال، وفصل اليهود المتواجدون في السلطة ، ومنع زواج المسيحيات باليهود ، وضرورة تعليق اليهودي ستارا تميزه حتى يعرفه الجميع[1] .

لغاة اليهود في الأندلس :

كانت لغتهم القديمة التي كتب بها التوراة ، تأثرت بعدة لغات منها الأرامية واليونانية والفارسية، اندمجت فيها عدة مصطلحات من لغات مختلفة، و هذه اللغة الجديدة هي التي كتب بها يهوذا الناسي في القرن 2م، لذلك أهمل اليهود اللغة العبرية و أصبحت اللغة الشائعة بينهم هي اللغة الأرامية حتى أنهم قاموا بترجمة الترانيم و الطقوس التي يؤدونها إلى الأرامية ، أتقنوا اللغة العربية و أرادوا أن يخدموا لغتهم بعد تعلمهم لقواعد وآداب العربية ، كذلك بعد رؤية خدمة المسلمين للغة العربية فقد وضعوا قواعد للغتهم على طريقة المسلمين في خدمة اللغة العربية[2] .

ومن المفيد أن نشير إلى أنّ إتقان اليهود للّغة العربيّة والقشتالية دفعهم إلى العمل في الترجمة، و من أشهر المترجمين اليهود عذر الرندي الذي قام بتوضيح الاتفاقات قبل تسليم مدينة رندة عام (762هـ / 1359م) ، و كان أبو عبد الله آخر ملوك بني الأحمر يستعين بالمترجمين اليهوديين إسحاق بورد نيل ، سهره بودا، و ملك أراغون بطرس الثالث كان يستعين في مهمّاته الرسميّة بمترجمين يهوديين سموإيل بن منسى و أخوه في غرناطة و فاس[3] .

ومن أعمالهم أنّهم قاموا بتأليف أوّل معجم لغوي يتألف من جميع مفردات الكتاب المقدس بالغة العبرية من تأليف الباحث اللغوي النحوي الأندلسي مناحيم بن ساروق الطرطوشي ، و من رواد النحو العبري المعاصر دوناش بن ليبراط هاليفي كتب

بيت شعري بالعبرية ينصح فيه اليهود بتعلم العربية يقول فيه :

فَلتكُن الكُتب المقَّدسَة جنَتكَ

ولتَّكن الكُتب العَربية فِردوسُكُم

وقد تطور النحو العبري على تلاميذ مناحيم بن ساروق وهو أبو زكرياء بن داود المعروف بهودا بن حيوج[4] .

كما كان لليهود دور بارز في الحقل الفكري ، اشتهر منهم الكتاب و الشعراء و الفلاسفة و العلماء ، كما اشتهرت أسماء يهودية في مدارس الترجمة بإشبيليا وخصوصا في طليطلة [5].

---

[1] محمد ولد أمين أنّ، النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 18 .

[2] أريج بنت عوض بن طريخم الخماشي، الوجود اليهودي في الأندلس في عصر الخلافة حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المرجع السابق، ص 128 .

[3] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ط1، دار الجبيل، بيروت، ص 99.

[4] أريج بنت عوض بن طريخم الخماشي، الوجود اليهودي في الأندلس في عصر الخلافة حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، المرجع السابق، ص129 .

[5] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ،السابق، ص 109 .

المجالات التي برزت فيها فئة اليهود في الأندلس :

كان للعنصر اليهودي حضور قويّ في المجال الاقتصادي و الاجتماعي في المجتمع الأندلسي، و من بين هذه المجالات:

أ/ المجال التجاري : قاموا بنقل و تبادل السلع بين المدن الأندلسيّة أو ما يعرف بالتّجارة الدّاخليّة ، و كانت لهم عدّة مجالات تجارية في الأسواق و المدن ، وكانت تتركز هذه المجالات التجارية في الشوارع الخاصة وفق تنوّع السلع التي تباع مثل محلات الذهب و الحرير، وكانوا يطلقون عليهم المسلمين اسم **القيصرية** [1] .

ب/المجال الزراعي : لم يهتم اليهودي بالمجال التجاري فقط، بل انجذبوا نحو عدّة نشاطات كالزراعة و الصّناعة و غيرها، فقد عمل العنصر اليهودي في المجال الزراعي و الرعي و الصيد[2]، بعد تعرّضهم للاضطهاد من قبل القوط و خروجهم مرهوقين ماديا، إذ لم يتمكّنوا من شراء أراضي زراعية بالأندلس، فعملوا على حماية الأموال و الأملاك، فتشجّعوا لشراء الأراضي و البساتين[3] بحكم تمركزهم الأوّل بالأندلس في الأرياف و انتشارهم الواسع [4].

ج/ المجال الصناعي : إمتهن اليهود بالأندلس عدّة صناعات والتي لم يرغب فيها المسلمون منها صناعة الذهب و الفضة ، حيث يشير أحد الأمثال الأندلسية أن معظم الصاغة كانوا من اليهود، و إذا تعامل مسلم بهذه الحرفة احتقره الناس وازدروه [5]، وقد اهتمّوا بالصّناعات الخفيفة المتنوعة أهمها الحرير[6]، و الخياطة و النسيج و الدلالة في الأسواق و في نسخ الكتب و تجديدها و أساكفة و حمالين و كيالين و في صناعة الخمور[7] .

2/ التركيبة الطبقية :

تشكّل المجتمع الأندلسي من عدّة طبقات اجتماعية، اختلف المؤرخون على تقسيمها ، فقد قسّم ابن الخطيب المجتمعات إلى ستة أقسام. أما فقهاء الأندلس كابن الحاج و أبو الوليد الباجي فقد قسما المجتمع إلى ثلاثة طبقات بحكم أنهم عاشوا هذه المرحلة، أما الباحثون المعاصرون قسّموه إلى طبقتين .

---

[1] أريج بنت عوض بت طريخم الخماش، الوجود اليهودي في الأندلس في عصر الخلافة حتى نهاية الملوك، المرجع السابق، ص 117، 118 .

[2] سامية مصطفى محمد مسعد، الحياة الإقتصادية و الإجتماعية في إقليم غرناطة ، المرجع السابق، ص 221 .

[3] أريج بنت عوض بت طريخم الخماشي، الوجود اليهودي في الأندلس في عصر الخلافة حتى نهاية الملوك، المرجع السابق، ص 221، 222 .

[4] سامية مصطفى محمد مسعد، الحياة الإقتصادية و الإجتماعية في إقليم غرناطة ، المرجع السابق، ص 220 .

[5] أريج بنت عوض بت طريخم الخماشي، الوجود اليهودي في الأندلس في عصر الخلافة حتى نهاية الملوك، المرجع السابق، ص 221، 222

[6] يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني أحمر، السابق، ص 100

[7] أريج بنت عوض بت طريخم الخماشي، الوجود اليهودي في الأندلس في عصر الخلافة حتى نهاية الملوك، المرجع السابق، ص223 .

أ/ الطبقة الخاصة (الأرستقراطية) : سميت هذه الطبقة بالأرستقراطية ، والتي تشكلت من قادة الجيش، الكتاب الوزارة، الحكام، والولاة، والحاشية [1].

تمتعت هذه الطبقة في الأندلس بثراء كبير؛ فقد ملكت أموالا ضخمة تقدّر بعشرات الآلاف ، كما عرفت بوضع اجتماعي و اقتصادي مرموق، و كانت من أغنى الطّبقات، حيث مالت إلي حياة الترف و ملذات الدنيا، تولّى أفرادها وملاّكها الخطط الرسمية، واستثمروا أموالهم في الصناعة و التجارة، سمح نفوذها السياسي لأبناء هذه الطبقة بتوسيع نفوذهم و ملكيتهم و زيادة ثرواتهم ، كما عرفت نوعا من الصراع و التنافس بين العائلات الكبرى على المناصب و المصالح الاقتصادية، كالتنافس بين عائلتي الطبيب المشهور أبي العلاء ابن الزهر و عائلة الزهري[2].

تشكّلت هذه الطبقة من قضاة، و وزراء و شرطة و كل من يتمتّع بثراء وعيش رغد، حيث نجد بيت المال و الملكية من نصيب الأمراء[3] الذين يمتلكون ثلث إشبيلية، و بنو طاهر يمتلكون نصف مرسية، و بنو جهور بقرطبة و بنو ذي النون في طليطلة، و بنو هود في سرقسطة، وكانت ثروات هذه الطبقة تعتمد على طرق غير سليمة و مصادرة الممتلكات و إجبار الملاّكين الصغار على ترك أراضيهم و فرض ضرائب باهضة عليهم[4]

الوزراء :هم الطبقة المتّصلة بالأمراء يعيّنهم الخليفة للمشاورة والإعانة، يختار منهم شخص يكون حلقة وصل بين صاحب الدّولة و الأجهزة التنفيذية يسمى الحاصي ، تردّدت أسماؤهم في قصائد الشعراء و صار اسم الوزير يطلق على من يجالس الأمير، و يختص بديوانه لذلك انحطّت رتبته وأصبح يمنح للطّبقة الوسطى من كبار الوزارة، نظم فيهم شعر كثير، كقول ابن زيدون مخاطبا ابن جهور في السجن:

و الله فِيناَ علم غيبٍ و حسبناَ فيِه عِند جور الدّهر من حكم العدلِ

وفي الغربة قال :

غريبٌ بأرضِ الشرقِ يَشكر للصبى تَحملهاَ منيِ السلاَم إلى الغربِ

ومنهم من زال نفوذهم وأدركوا مصيرهم فحبسوا أنفسهم في البيت؛ مثل الوزير أبو عيسى ابن لبون و المأمون ابن ذي النون الذي اعتكف في بيته و قال :

ماَ إنكَسرَ بَيتِي لِي روضُ و من كَتبِي جَليسُ صدق علَى الأسرارَ مأتمِن

---

[1] عبد العزيز حاج كولة، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5و 6هـ /11-12م، مذكرة ماجستير، (مخطوط)، إشراف محمد الأمين بلغيث، جامعة بوزريعة، الجزائر، 1431هـ/2010م، ص 35 .

[2] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف 2، (م س)، ص 276 .

[3] المقري، نفح الطيب، ج1، (م س)، ص 216 .

[4] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق 5هـ، (م س)، ص 95 .

وَماَ مصابِي بسوا موتِي و يَدفنني قَوميؤ و مالهم علم بماَ دفنوُ[1]

الفقهاء والقضاة : كانت خطّة القضاة في الأندلس من الخطط الهامّة عند العامة و الخاصّة لتعلقها بأمور الدين[2] هم رجال الدين و الدنيا خطباء استمدّوا مكانتهم العالية و نفوذهم الواسع كونهم حفظة الدين و حملة الشريعة، و قد ذكر ابن السعيد في وصفه للمجتمع الأندلسي أنّ للفقه و الفقهاء رونق و جلالة و سمة الفقيه عندهم جليلة، ونتيجة للمكانة الرفيعة و العالية التي تمتّع بها القضاة والفقهاء فقد عظم شأنهم و كثرت نفوذهم واتسعت مكانتهم ، قصدهم أصحاب الحاجات يلتمسون منهم الشفاعة، كما تعرّضوا للحسد الشّديد من أهل الأندلس بسبب الجاه، وقد أعطى ابن قزمان صورة سيّئة للفقيه في صورة المنافق الشجع المستغل للنفوذ و الحصول على ما ليس من حقه و فساد أخلاقة في حياته و التظاهر أمام الناس بالصلاح و التقوى[3]

وبعد تغافل الفقهاء و القضاة و سيرهم على درب الحكّام الفاسدين مقابل منافع دنيوية وصفهم ابن خفاجة في قوله : دَرسوا العُلوم لِيملكوا بجدالهم فيِها صُدور مراتب وَ مجالس

وتَزهدوا حتى أصابوا فرصةُ فِي أخد مالِ مساجد و كنائسْ[4]

و من أوساط الطبقة الخاصة آنذاك المرأة التي كانت عنصرا معززا غير مضطر للقيام بأيّ عمل لا داخل البيت ولا خارجه توجهت لطلب العلم و حفظ الشعر، إذ نجد أخت أمير المسلمين علي ابن يوسف تتخذ الموكلين و الكتاب بغير حياء أو خجل تحاسبهم على أعمالهم [5].

ب/ الطبقة العامة : هو لفظ أندلسي استعمل لتعليم الأغلبية الأقلّ امتيازا، وهي عكس الخاصة تدلّ على الطبقة غير المحظوظة ازدهرت في إشبيليا خلال عهد الطوائف لم يمنحها الأندلسيون اسما، ولم تنظم نفسها لحماية مصالحها نظرا لغياب الوعي، حيث كانت مصالح هذه الطبقة تخدم أحيانا مصالح الطبقة الخاصة، و كان وجودها في إشبيليا بمثابة الجهاز الفوقي للإدارة و السياسة ، وقد كان حضورها يفرض نفسه على مستوى قصر الحكم و داخل الهيكل السّياسي و الاقتصادي شملت التجار و أصحاب المشاريع الصناعية وموظّفي الدولة و الملاكين الصغار، تألفت من مجموعتين من السّكان، و لم تحظ بامتيازات في المناطق الحضرية و الريفية، كما استفادت من ازدهار الصناعة و التجارة، أمّا في الرّيف فاستقلّ العمال بكل السّلطة، مما دفع إلى التمرّد ضد ملوك الطّوائف بسبب سخط سكان

---

[1] نفسه، ص 95-97 .

[2] المقري، نفح الطيب،ج1، المصدر السابق، ص217 .

[3] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف 2، السابق، ص272،173 .

[4] عمر أبراهيم توفيق،صورة المجتمع الأندلس في ق 5هـ، المرجع السابق، ص 98 .

[5] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف 2، السابق، ص 315 .

الأرياف على شؤون الطبقة العامة في الدولة، و لم تكن بعض الطّوائف كغرناطة تعتمد عليهم سياسيا [1]، كما تعرّض الفلاّحون و أصحاب الصّنعة في الطبقة العامّة إلى دفع الضرائب إلى السّلطات، التي سلبت حقولهم و مزارعهم إذ خربت و دمّرت بسبب الحروب[2]، و تكونت هذه الطبقة من عدة شرائح اجتماعية:

التجار : ارتبطت هذه الفئة باختلاف الوضع الاجتماعي لأصحابها إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول : هم الذين يستثمرون أقل من مائتي دينار لتجارتهم نظرا لضعف استثمارهم .

الصنف الثاني : يطلق عليهم تجّار القوافل مولعون بدخول السودان ، وصفهم ابن خلدون بأنهم "أزفت الناس و أكثرهم أموالا"

الصنف الثالث: هم تجار الجملة اقتصرت رحلاتهم على المدن الأندلسية و المغربية يسمّيهم ابن خلدون "المتردّدون في الأفق الواحد مابين أنصاره و بلدانه " كان البعض منهم فقهاء و أصحاب الخطط الرسمية و ملاّك الأراضي بالرغم من الأرباح التي تحصّلوا عليها إلّا أنهم تعرّضوا لضرائب باهضة بقيام الدولة المرابطية.[3]

الصّيارفة و كبار السّماسرة : برزت هذه الفئة من الصّيارفة من الطبقة العامة، وانحصرت مهمّتهم في تصريف الذهب لمن يتعذّر عليه قضاء حوائجه، استخدموا أساليب التّحايل و الغش، أي الربا بهدف زيادة نسبة الصرف. أمّا السماسرة هم وسطاء بين التاجر و المشتري اتخذوا حوانيت لتصريف أعمالهم بحيث لجأ التجار الغرباء إليهم لتصريف البضائع، و هذا ما مكّنهم من كسب أرباح كبيرة.

التجار و أصحاب المزارع الواسعة :كانت هذه الطبقة من العامّة، لها دور مهمّ في الحياة السّياسيّة و الاقتصاديّة وكانوا من بني جهور و بني عباد و بني طاهر، ينعمون بترف و رخاء و يعشون في إسراف و تبذير، وكانوا يعمّرون أراضيهم و يرعون تجارتهم، و قد ذكر ابن بسام حالة هذه الطبقة في مدينة بلنسية أيام الحكم الصقلبي مضفر مبارك قائلا " بنو بها المنازل و القصور و اتخذوا البساتين الزاهرة و الرياضات الفاخرة [4].

أصحاب الوظائف المتوسطة : تكوّنت هذه الطبقة من أصحاب الوظائف المتوسطة المشتغلون في أجهزة الّدولة كصاحب الأحكام ، صاحب المواريث ، صاحب المدينة ، الحرس و الشرطة كذلك الأحباس و المحتسب، و قد عيّن هؤلاء من قبل الفقهاء و القضاة، و لهم مرتبات متوسطة لمساعدتهم على القيام بمهامهم، و تفتقر هذه الطبقة إلى

---

[1] أمحمد بن عبود، التاريخ السياسي و الاجتماعي لإشبيلية في عهد دول الطوائف، (د ط)، المغرب، ص 187، 188 .

[2] وليد محمد علي قاسم، مظاهر اجتماعية، المرجع السابق، ص 260 .

[3] لمياء توفيق دلة، الأندلس الإسلامية بين ملوك الطوائف و دولة المرابطين (478-541هـ/1085- 1147م) ، مرجع سابق، ص325، 326 .

[4] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ، السابق، ص 101 .

التجانس و الانسجام، و هذا راجع إلى تعدد الشرائح فيها لها كل شريحة مصالحها الخاصة، مما جعل هذه الطبقة غير مالكة لخطة أو غاية [1] .

الطبقة السفلى (الزراع العبيد): تعتبر هذه الطبقة من الطبقة الكادحة في المجتمع الأندلسي، يغلب عليها العنصر الأسود من السكان الذين كانوا يعانون من الظّلم و التعسّف، وهم أوّل ضحايا القحط و المجاعات، تعرّضت أراضيهم و مصالحهم الزّراعية في أوقات المعارك و الحروب إلى النّهب و التخريب، و قد اتبع الإفرنج سياسة الأرض المحروقة في غاراتهم المتكررة أثناء توغّلهم لمساعدة الطرف الآخر[2] ، و لأبي بكر عبد العزيز بن السعيد البطليوسي بعض الأبيات يصف بقرة أخذها منه الإفرنج :

وَفَجعنِي ذا الريقْ لاَ دردهُ بأم عيال ماَ عرفنا بهاَ الجدبةٌ

تَرى فخضيهاَ يحملان خزانةً و إذاَ فتَحتهاَ أصبع ملات و طباَ [3]

كانت هذه الطبقة تصارع من أجل لقمة العيش بسبب إرهاقهم من قبل الحكام بالضرائب المختلفة، و عندما يعجزون عن التّسديد يجبرون على ترك أملاكهم ، ويقرّ ابن عبود أن الطبقة كانت جزء لا يتجزأ من النظام الاقتصادي و الاجتماعي التي استفادت منه الطبقات خصوصا الطبقة الخاصة، كما يرى حسب رأيه أن معظم مكوّني هذه الطبقة ينتمون إلى العرق الإسباني[4]

العبيد : من أهم الطبقات في المجتمع الأندلسي ، كان لها دور كبير في مساندة السلطة الأرستقراطية ، نشأ العبيد على يد الملكيين، و استخدموا لتنفيذ أغراضهم أو قضاء حاجاتهم الخاصة لإنتاج قوة في العمل لا سيما في الزراعة، أمّا في المجتمع الإسلامي فقد كان للأرستقراطية دور مهم في السياسة و الإدارة؛ بحيث أثرت كثيرا باستخدام العبيد فقد وجهتهم لمختلف المجالات خصوصا المجال الاقتصادي و السّياسي، وقد وجّه ملوك الطوائف عناية خاصة إلى اقتناء العبيد و رأوا أنّ هذه الوسيلة خير سبيل لتوطين سلطانهم، و يذكر كتّاب التاريخ أنّ أوّل من اهتمّ بشراء العبيد القاضي أبو القاسم العباد ، وكانوا يستخدمون لأعمال عدة و يقومون بالخدمة في القصور الأرستقراطية لا سيما

---

[1] صلاح خالص، إشبيلية في القرن 5هـ، المرجع السابق، ص 51.

[2] كمال السيد أبو مصطفى، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي، (د ط)، الإسكندرية ، ص 108-240

[3] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ، السابق، ص 109 .

[4] الصالح بلبل، الأثار الحضارية للصراعات العسكرية في الأندلس إبان عصر الملوك الطوائف (ق5هـ /11م)، أطروحة دكتوراه (مخطوط)، إشراف جمال بن دعاس، جامعة العلوم الإسلامية، باتنة، 1440هـ/2019م، ص169،170 .

النساء و الغلمان الذين يستخدمون للمتعة و اللهو، وقد تبين أن حالة بعض العبيد لم تكن سيئة على وجه العموم خاصة الذين عملوا في القصور وتمتّعوا بحياة متوسطة و وصلوا إلى مراكز جيدة [1].

وقد تميزوا بحركة و نشاط أثناء عصر ملوك الطّوائف، و كانت بيوت الأندلس لا تخلو من العبيد ، بحيث كانوا يجلبون من بلاد بعيدة من اوروبا وإفريقيا ، تعرضوا لمعاملات وحشية، قاموا بتجريدهم من فحوليتهم عبر عملية تسمى (الخصي)، و هذا لعدم إقامة العلاقات الاجتماعية التي خلفت فيهم آثارا نفسية صعبة [2].

3/ المرجعية الدينية و اللسانية :

تنوع المجتمع الأندلسي بعدة عوامل أدت به إلى التميز و الازدهار في الحياة الاجتماعية و الدّينية و الأدبية ، فقد كانت اللغة و الدين من أهم الأعمدة التي ارتكزت عليها الأندلس؛ وقد كان الدّين الإسلامي يسيطر على معتقدات الأغلبيّة في الأندلس ، أمّا اللغة فقد تنوعت مع تنوع العناصر في المجتمع .

أ/ الدّين الإسلامي : عرفت حياة المجتمع الأندلسي ظاهرة التديّن، فقد كان الأندلسيون متعصبين للدّين الجديد، وهو الدين الإسلامي الذي تمسّكوا بتعاليمه من قبل دول الشرق المسلمة، وكانت قواعد أهل الأندلس في دياناتها مختلفة باختلاف الوقت و الحكام؛ فكلّ حاكم كان يعتمد على دين خاصّ يخضع له أهالي الأندلس [3]، وقد تمتع المسلمون بتشريع إسلامي خاص بهم و لغير المسلمين في بعض الحالات الخاصة، حيث كان القاضي المسلم يجلس للحكم بين المتخاصمين سواء مسلمين أم نصارى أم مسيحيّين يصدر أحكاما من الشريعة الإسلامية ، وكان يسمى بقاضي الجند[4].

تعلّق أهل الأندلس بالمذاهب الفقهية كالمذهب الأوزاعي الذي انتشر في ولاية قرطبة، وأوّل من نشر المذهب الأوزاعي الفقيه معصمة بن السلام الشامي قاضي قرطبة و صاحب الصلاة ، أمّا المذهب الاعتزالي فقد كان مذهبا لا يدين به أهل الأندلس بالرغم من ذكر المقري لأهل الاعتزال، إذ قال فيهم:

و الحُب حَركهم لِكلِ جدال وَ الحُب أقحَمهم علىَ الأهوال

والحب أنشأَ فيِهم عصَبية بالقيل أضرَم نارها وَ القاَل [5]

---

[1] صلاح خالص، إشبيلية في ق5ه، السابق، ص 70 – 74 .

[2] خميسي بولعراس، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف، المرجع السابق، ص 68 .

[3] محمد سعد الدغلي، الحياة الإجتماعية في الأندلس، ط1،، دار سامة، ص 29 .

[4] حسن مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 357 .

[5] المقري التلمساني، نفح الطيب ،المصدر السابق، ص204 .

ذهب الكثير إلى مذهب الإمام مالك الذي انتشر في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمان الداخل، و أول من أدخله زياد بن عبد الرحمان اللّخمي الملقب بشبطون، وهو ما ترتّب عنه انتقال الأندلسيين من المذهب الأوزاعي إلى مذهب الإمام مالك، وحسب قول المؤرخين فإنّ العلماء و الفقهاء بعد ذهابهم إلى المشرق و تعرفهم على الإمام مالك انبهروا بفقهه المعتمد على الكتاب و السنة و قد رأى أنّ كلّ ما هو نافع للمسلمين هو في الإسلام [1].

وقد ساد المذهب المالكي بقوة إلاّ أن ظهور المذهب الشافعي داخل المجتمع أخذ بعين الاعتبار من قبل أهل الأندلس والذي أدخله هو محمد الأول الذي سمع بانتشار المذهب الشّافعي ، وكان هدفه توسيع الحياة الفقهية في الأندلس ولا تقتصر على مذهب واحد [2].

ومنه فقد اختلفت قواعد الدّيانة في الأندلس حسب الأوقات و بالنظر إلا السّلاطين، وقد أقام المسلمون الحدود و أنكروا تهاون الملوك، وكان إذا تهاون الملك في شيء ولم ينكر، يدخلون إلا قصره الفخم المليء بالحرس لا يعبئون لا بخيل أو رجال يخرجوه من بلادهم، كما كانوا يقومون برجم القضاة و الولاة إذ لم يعدلوا في أعمالهم[3] ، كما خاض المسلمون في الأندلس معارك شتى و حروبا بالغة من أجل نشر الإسلام، فقد كانت حياة المسلمين عبارة عن حروب و معارك متتالية مع الإسبان و الأوربيين بسبب الحماسة و الحميّة الدّينية [4].

المسيحيّة : ديانة كباقي الدّيانات في المجتمع الأندلسي لازمت الدين الإسلامي، وقد سمح لهم المسلمون بتولّي مناصب مهمة في الإدارة والقصر، ففرضوا هيمنتهم على دويلات الطّوائف، مارسوا شعائرهم الدّينية بكلّ حريّة، وتعددت الكنائس في ظل الحكم الإسلام. ويصف أبو عبد الله بن الحداد بعض شعائر المسيحية في الكنيسة خلال مصاحبته لفتاة رومية أحبّها:

وفِي شرعةُ التثليث فَردث محاسنٍ تُنزل شَرع الحُب من طرفه وَحياً

وكانت للمسحيين الأديرة [5]المنتشرة في ضواحي المدن، وقد وصف ابن الشهيد مبيته في إحداها بقوله :

ولاَ ربَ حانَ قَد شممتَ بديره خَمرُ الصبى مَزحت بِصرف عَصيرِهِ

فِي فتيةٌ جعلوا السُرورَ شَعائِرهم مُتصاغرين تَخشُعا لكبيرةٌ[6]

---

[1] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، المرجع السابق، ص 140.

[2] محمد سعيد الدغلي، الحياة الإجتماعية في الأندلس، السابق، ص 32 .

[3] المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1،المصدر السابق، ص 219، 220 .

[4]حسن يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م)، السابق، ص 137 .

[5] الأديرة : هي مكان يجمع فيه الطائفة المسيحية إنتشرت في ضواحي المدن الأندلسية (عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ، المرجع السابق، ص 164).

[6] المقري التلمساني، نفح الطيب، ج1،المصدر السابق، ص 525 .

كان لهم قاضي يتولّى الفصل في مختلف القضايا حسب المسيحية، فرضت عليهم الجزية بصورة عادلة للتفريق بين الغني و الفقير و متوسط الحال، أعفيت المرأة و الصبيان و أصحاب العاهات من الجزية، جعلوا يوم الأحد عطلة لممارسة الفرائض الدينية، تعايشوا مع المسلمين في ألفة، خصص لهم قاضي في المحكمة الاستثنائية برآست الكونت و بعد ازدياد نفوذ الممالك المسيحية أخذوا يوقعون بالمسلمين[1].

اليهوديّة : من بين الدّيانات التي ظهرت في المجتمع الأندلسي، حيث استقرّ اليهود في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي ولكن من غير المعروف متى وصل الدّين اليهودي إلى أراضي الأندلس، وقد عاشت الطّائفة اليهوديّة بين مجموعات سكانية اختلطوا بشعوب مختلفة الأصل و الدّيانة بهدف الاستقرار، وقد تعرّض الدّين اليهودي للاضطهاد؛ فمنع معتنقوه من ممارسة أيّ نوع من الأعمال أو الزواج بالمسلمات و المسيحيات، وبعد ذلك انتشرت اليهودية في مختلف مناطق الاستقرار بالأندلس، إذ أصبحوا يمارسون شعائرهم الدّينية، وهذا ناتج عن المعاملة الحسنة التي تلقّوها من قبل المسلمين، وبرز منهم العالم اليهودي حسداي بن شبروط الذي أسّس الاستقلال الرّوحي للدّين اليهودي [2].

ب / اللغة :عرفت اللغة بالتّنوع منذ دخول العناصر المختلفة للمجتمع الأندلسي، واللّغة مظهر من مظاهر الحضارة لكزنها تعتبر صلة وصل بين أهالي الأندلس، ومن اللّغات المستعملة و الشّائعة هي اللّغة العربيّة الفصيحة وهي اللّغة الرسمية لأهل الأندلس يتعلمونها في المدارس، يكتبون و يقرؤون بها، فهي أولّ و أهمّ لغة باعتبارها لغة القرآن الكريم و التي جاء بها الدّين الإسلامي، و كانت هذه اللّغة خاصّة بالحياة العلمية فقط، أمّا في الحياة العامة فكانت لهم لغة أخرى في تدبير شؤونهم اليومية وهي اللهجة اللاتينية (الدارجة أو العجمية)، في حين نجد أنّ شعوب أوروبا كانوا يتحدثون بهذه اللغة[3]

ومن اللغات المتداولة بين المسلمين الإسبانية؛ فقد كان القضاة و الخلفاء يتكلّمون بها إلى جانب اللغة العربية في المحاكم، و كانوا يناقشون بها القضايا الهامّة، وهذه اللّغة كانت نتاج الزواج المختلط بين أفراد الفتح و أهل البلاد الأصليين؛ أي زواج الأندلسيّين بنساء إسبانيات و تأثر الأبناء بأمهاتهم في لغتهم، وظهرت أيضا ازدواجية في اللغة وهي الأعجمية أو اللاطينية يتكلمون بها في حياتهم العادية، وهو ما دفع ابن حزم عندما وجد أهل دار البلا ، لا يتكلمون بهذه اللغة (اللاطينية) فقد أدرك أن هذه اللغة كانت في الأندلس إلا أن بعض القبائل لا تجيدها فقال : "فإن أفرادها لا يحسنون" [4]

---

[1] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق 5هـ، المرجع السابق، ص 164، 165 .

[2] محمد الأمين ولد أنّ، النصارى و اليهود من سقوط الدولة الأموية إلى نهاية المرابطين، المرجع السابق، ص 153

[3] محمد سعيد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، المرجع السابق، ص 25 – 27 .

[4] خالد حسن حمد الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين و الإسبان، (د ط)، مكتبة الآداب، القاهرة، ص 162 .

4/مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي :

للمرأة شخصية أساسية في المجتمع الأندلسي فهي الغائب و الحاضر و الوعاء الذي اختلط فيه عنصر البربر و العرب و الإسبان لينتج منه مجتمع أندلسي جديد، وان حكمنا على هذا المجتمع بالرقي والتمدن والتدين، فإنّ هذا الحكم ينطبق على المرأة الأندلسية، فقد بلغت من الأدب و العلم مكانة رفيعة، و قامت بفعاليات متعددة رسمت دورها في الحياة الثقافية و العلمية و الأدبية، وكلّ هذه الامتيازات كانت منعدمة قبل الفتح الإسلامي؛ حيث تجرّدت من أبسط حقوقها و تعرّضت لشتى أنواع الاضطهاد تحت ظلّ الحكم القوطي إلاّ أن جاء الحكم الإسلامي منصفا لحقوقها، فأمر بالرفق واللطف بها و نهى عن العنف و الخشونة معها، مما جعلها محطّة فاصلة بين عهدي القوة والازدهار وبين مرحلة الضّعف والانكسار.

أ/صورة المرأة في المجتمع :

إنّ أوّل وصف للمرأة في المجتمع الأندلسي كان من قبل الشّعراء الذين تحدثوا عن جمال المرأة و لون بشرتها التي تختلف من الابيض و الأصفر و الأسود، وقد مال الشّاعر الأندلسي بطبيعته العربية إلى المرأة ذات البشرة البيضاء فوصف الحسن وقف على بياض الوجه. يقول الشاعر ابن عبد ربه :

فِي الكِلَةِ الصَّفرَاء ريمٌ أَبَيضٌ يَسبِي القُلُوبَ بِمُقلَتَيه وَ يَرَضُ

لَمَا غَداَ بَينَ الحُمُولِ مؤُلِ مقَوضا كاد الفُؤادُ عن الحَياة يَقوض

واعتاد الشاعر العربي والأندلسي حين تزوره محبوبته في ظلمة الليل يذكر بياضها الذي يذهب بسواد اللّيل المظلم فيقول ابن شهيد :

تَكتمُ بِالليل فِي ضِله وَهلْ يمكِن الصُبح أن يكتَتمَ[1]

أما من جانب آخر نجد معيارا جماليا سائدا في المجتمع ألا وهي المرأة ذات البشرة السوداء التي كانت محطّ الأنظار خاصة الشعراء؛ إذ ساد اعتقاد عام بأنها أكثر خلق الله إذعانا للموالي وقد كانت أكثر انقيادا لرياح الرغبات الجامحة يقول ابن حيان الغرناطي

لَناَ أَلجُ غَرَامٌ شَدِيد فِي هَوَى السُودِ نَخْتَارُهُنَ عَلَى بِيضِ الطَلَى الغَيد

لَوْنٌ بِهِ أَشْرَقَتْ أَبْصَارنا وَحَكَى فِي اللَونِ وَ العِرفِ نَفحُ المِسكِ وَ العُود

و من الشخصيات البارزة في المجتمع الأندلسي ابن زيدون الذي مال إلى ولادة التي تقول معاتبة: إيّاه:

[1] محمد عويد الطربولي، جمالية المرأة في شعر عصر الخلافة و الطوائف أنموذجا،جامعة تكريت للعلوم، ع 8 المجلد 19، 2012، ص 149.

لو كُنْتَ تَصِف فِي الهَوَىَ ماَ بَيَنَناَ لَمَ تَّهوَ جَارِيتِي وَلمْ تتَخَيَر

وَترَكْتَ غُصْنا مُثمِرًا بِجَمالهِ وَجنَحْتَ لِلغُصنِ الذِي لَمَ يُثمِرْ

وَلقَّد عَملت بأَنَنِي بَدرَ السَمَى لَكن دَهيتَ لشَوقتَي بِلمُشْترِي

ولم تكن نظرة المرأة الاندلسية للجارية تختلف كثيرا عن نظرة الرجل؛ لأنها كانت تتغنّى من نفس القاموس وتراهن على نفس الخطاب الطبقي المتعالي. تقول حفصة الركونية مخاطبة ابن سعيد وقد اجتذبه غموض السواد

يَا أظرف النَاس قَبل حاَل أَوْقعَه نَحوه القَدَر

عِشْقُ سَوادِ مثْل الَلَيْل بَدَائِع الحَسَن قدَ سَتَر[1]

وبالرغم من ميل الأندلسي للجمال الأسود إلاّ أن هناك فئة بغضت السّواد ووصمت به كل ما كرهته نفوسهم فالمثل الأعلى للجمال هو البياض.

يلازم المرأة البيضاء لونين الاحمر و الاصفر الذي يزدان من حسن وجمال المرأة فهي تحمر عند خجلها و خروجها لأشعة الشمس، أما المرأة رقيقة البشرة صافية اللون تتغير بشرتها بلون الهواء فتصفر باصفرار الشمس عند المساء فالصفرة ليست مرضا أو عيبا، و إنما هي زيادة للجمال، وقد دافع أحمد بن فرج الجياني عن ذلك وأرجعه إلى عامل الخوف فيقول :

قَالُو بِهِ صَفرَة عَابتْ مَحَاسِنه فَقُلتُ مَا مِن عَيبٍ بِه نزَلَ

عَينَاهِ تَطْلب فِي اثَار من قَتلتْ فلَستُ تَلقاَه الا خَائف وَجَلا [2]

ومدح ابن عبد ربه البيضاء حينما قال تكتسيها صفرة بنعيمها يقول :

بَيضَاءُ انامَهَا النَعيمُ بِصُفرَة فكأَنَهَا الشَمسُ بِغير شُعَاع

كذالك المرأة السمراء أخذت نصيبا من الحب و الإعجاب، فكانت الأندلسيات السمراوات يجذبن القلب أسرع مما تجذبن البيضاوات فسمرتها حرارة في قلب المحب لا يهدأ لهيبها إلاّ بالوصل، ومن الشعراء الذين سحروا بها المعتمد بن عبد الملك يقول:

وَكَمْ ليلة قَد بِتُ أنعَم جُنحَهَا بِمخْصَبَة الأَرْداَف مُجدِبة الخَصْر

وَبيِضُ وَسُمرِ فَاعِلاَت بِمُهجتِي فَعالٌ الصَفاحِ البيِض و الأَسَل الاسْمر[3]

---

[1] سليمان القرشي، صورة المرأة في الشعر الأندلسي، ط1، دار التوحيدي، الرباط، 2015، ص 110.

[2] محمد عويد الطربولي،المرأة في شعر عصر ملوك الطوائف ، المرجع السابق،ص 147 -150 .

[3] نفسه، ص 150-151 .

وقد تميزت الأندلسيات الحرائر والإماء والجواري بمفاتن طبيعية جذبت العديد من الشعراء إليها؛ فكانوا يتفنّنون في وصف مفاتنها الجسدية و النفسية، فأبدعوا في تصويرها بمشاهد طبيعية ساحرة، حيث أصبحوا لا يفرّقون بين شعر الطبيعة و شعر مفاتن المرأة، و نجد ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأكبر في الأندلس الذي يزاوج بين الطبيعة و المرأة في أكثر من شعر يقول :

إن للجَنَة في الأَندلُس مُجتَلِي حُسنُ وَ رّيَا نَفِس

فَسَناُ صُبحَتنا من شَنَب وَد جَى ظُلَمتهَا منَ نغَس[1]

و في المقابل قد تجرّأ بعض الشعراء في وصف جسد المرأة بدقة:

لَها وَجنة تَسَقلت بنَعيم وناظِرَة كحلة بِالفتُور

وَتَبتَسم عَن الاقْحوَان تُريكَ عَلى نوُره الشَمس اشْراقُ نُور[2]

وفي وصف آخر نجد غزل الحانات يقوم على التحدّث عن المغنيات والقيان وما بينهم و بين الزبائن من حوار و كشف ملامح جمالهن. يقول ابن حمديس الصقلي :

هاتِ كَأسَ الرَّاحِ أَو خُذهَا يِنْزِلُ اللَّهو بِها بَين يَدَيكَ

ويوجد كذالك غزل اخر و هو عفيف يكون في عرض الصور المثيرة و بيان الأحاسيس، وكان (طوق الحمامة) لابن حزم الأندلسي الأكثر شيوعا في العشق والحبّ والنسيب[3]

و نجد ألوانا من الغزل النسوي في الأندلس يتمثل في تغزل المرأة بنفسها و بأنوثتها، نجد حفصة بنت الحاج الراكونية تقول على محاسنها وجمالها :

زائر قد اتى بجيد الغزال مطلع تحت جنحه للهلال

بلحاض من سحر بابل سيغت وراضاب يفوة بنت الدوالِي

يفضح الورد ماهوى منه خذ وكذا الثغر فاضح للاَلِي

أما تغزل المرأة بغيرها فنجد حمدة بنت زياد تتغزل بفتاة اعجبتها تقول :

وَمِن بَينِ الضِيَاء مَهاَة حَسَن سَبت لَبِي وَقد مَلكَت فُؤَادِي

لَهاَ لَهْض تَرْغَده الامِير وذَاك الامْر بِمعنَى رقادي

إِذَأسْدلتْ ذوَائِبهَا عَليْها رَاة البَدر فِي أفُق السَوْدَاء [1]

---

[1] أحمد خليل جمعة، نساء من الأندلس،ط1، دار اليمامة، دمشق، بيروت 1431هـ/ 2001م، ص 13 .

[2] إبن حمديس، ديوان إبن حمديس 447 /527، إحسان عباس، (د ط)، دار الصادر، بيروت، ص179 . .

[3] عمر إبراهيم توفيق،صورة المجتمع الأندلسي في ق 5 هـ ، المرجع السابق، ص 125،126 .

ومن هنا فقد امتلكت الأندلسيات الحرية المطلقة و التباهي بالكبرياء و الجمال بعد اختلاطها بالمجتمع النصراني و الاسباني و تعرفها على ظاهرة التبرج و الزينة[2]

إلاّ أنها بقيت محافظة على القيم الدينية، العلوم التي تلقتها، إذ لم تكن منعزلة، و إنما طرقت أبواب العلم و المعرفة كالعلوم الفقهية و الحديث و الفرائض و غيرها من العلوم؛ فقد برعت في ميدان الرواية و على سبيل المثال نجد ام سعد القرطبية راوية أندلسية،كذلك نجد مريم بنت أبي يعقوب التي كانت تدرّس الأدب و تعاليم الدين ، وطونة بنت عبد العزيز زوجت أبي القاسم قارئة و مجودة للقرآن الكريم[3].

1/إسهامات المرأة في المجتمع الأندلسي

1/ الدين و الفقه :

أ/ **الدين** : عرف المجتمع الأندلسي بنساء فاضلات تميزن بتعاليم الدين و عرفوا بالحشمة، حيث نجد مريم بنت أبي يعقوب التي شبهها أدباء عصرها بأنها تحاكي مريم العذراء في عفتها و الخنساء في أدبها و شعرها :

أشبهتُ مَريَماً العَدراءَ في ورَعٍ وَقفَتٍ خَنساءُ فِي الأشعاَر وَ المثَل

وكذلك طونة بنت عبد العزيز القارئة و المجودة ، و فاطمة بنت يحي المغامي كانت فاضلة عاملة و فقيهة، و خديجة بنت أبي عبد الله بن سعيد الشنتجالي و غيرهن كثيرا[4] .

ب/ الفقه : كان لنساء الأندلس دورا هامّ في علم الفقه؛ فقد أمدّتنا كتب التراجم بعدد من أسماء الفقيهات اللّواتي أسهمن في ازدهار الفقه و تعليمه لبنات جنسهن، ومن بينهن نذكر راضية مولاة عبد الرحمان بن محمد الناصر ، وفاطمة بنت يحي بن يوسف المغامي ، و طونة بنت عبد العزيز زوجة أبي القاسم بن مدير الخطيب المقري التي وصفت بالدين و العلم وجلالة القدرة .

ج / علم الحديث :

بالرغم من مشاركة النساء الأندلسيات في ميادين علمية كان لها أيضا نصيب في ميدان علم الحديث كرواية الأحاديث النبوية الشريفة ، المسندة عن "الرسول صلى الله عليه و سلم "، فقد كانت تسمع عن الشيوخ الأتقياء

---

[1] أحمد خليل جمعة، نساء من الأندلس، المرجع السابق، ص 17 .

[2] أريج كريم حمد هاتف، المرأة الأندلسية العادات و التقاليد و التحدي و التغيير كلية التربية البنات ، مجلة المجلد 29، ع 3، 2018، ص 2759.

[3] أحمد خليل جمعة،نساء من الأندلس، المرجع السابق، ص 18

[4] نفسه، ص 18 .

ذوي الحجة من بينهم فاطمة بنت محمد بن علي بن شريعة ، ففي عصر الخلافة خديجة بنت جعفر بن نصير بن تمار التميمي ، زوجت عبد الله بن اسد الفقيه حدثت عن زوجها عبد الله بن أسد [1].

ومن المحدثات في عصر ملوك الطوائف خديجة بنت أبي محمد عبد الله بن سعيد الشنتجاني ، سمعت مع أبيها الشيخ أبي ذر عبد بن أحمد الهروي "صحيح البخاري"، وشاركته في السماع من شيوخه بمكة المكرمة، وقد ترجم لها ابن بشكوال دون أن يذكر سنة ولادتها أو وفاتها ، وقال : "ورأيت سماعها في أصول أبيها بخطه. وقد مات معه الأندلس و ماتت بها" ، وقد ذكرت أيضا غالبة بنت محمد المعلمة التي ترجم لها الضّبي فقال: "غالية (بالغين المعجمة) بنت محمد: معلمة الأندلسية تروي عن أصبع بن مالك الزاهد ذكرها مسلمة بن قاسم في كتاب النساء له "

وخلاصة القول أن ميدان الحديث في هذه الفترة ، وجد من يعنى به وبعلومه فازدهر إ ازدهارا كبيراً[2]

في مجال الأدب:

برزت النساء الأندلسيات في صرح الأدب و أثرت في مجالسه بالمناظرات والمطارحات، وساعدت بذلك على جعل جو الأندلس مبتهجا بالحضارة الراقية، فأصبح الأندلسيون ينطقون بالأشعار والآداب[3]

وهذا من خلال إبراز إنتاجهن للشعر الأندلسي من ناحية القول ، والصوغ ، الجرأة ، الرصانة ، و الجزالة، وهو ما دفع الدارس إلى الوقوف ، متأملا مستبينا مظاهر الابداع و الإمتاع، ومن هنا فرضن وجودهن فرضا على موكب الشعر في الأندلس، فقد كان لبعضهنّ صالونات أدبية تظمّ عظماء الرجال في الفنون و الأدب بحيث أصبح تعليم البنات شائعا في الأندلس [4] .

وقد لمعت كثير من نساء الأندلس في الجو الأدبي غرّدت كثيرا بأجمل الألحان الشعرية و أعذب الكلمات الأدبية فمنهم الحرائر و الإماء و الجواري اللّواتي كنّ يشاركن في إثراء المعرفة و الأدب[5]

كما شهد عصر ملوك الطّوائف نشاطا زاهيا في ميدان الحياة الأدبية و الحركة العلمية ، حيث كان للمرأة دور كبير في نهضة الأدب و العلم، منهنّ أدبيات في المشرق فارسيات و بربريات، وفي الأندلس خصوصا الإسبانيات أو

---

[1] سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس،ط1، دار العربية، بيروت، ص 99 -101 .

[2] نفسه، ص 101 -103 .

[3] . أحمد خليل جمعة ، نساء من الأندلس (م س)، ص12 .

[4] راوية عبد الحميد شافع،المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة، المرجع السابق، ص 129 .

[5] أحمد خليل جمعة، نساء من الأندلس (م س)، ص 12

أوروبيات من أسرى الحروب ، فكنّ يسكنّ قصور الخلفاء و الأمراء و الأغنياء ، و يعلّمن الأدب لينتجن منهن أدبيات متعلمات [1]

وكان تعليم المرأة أمر ضروري خاصة بعد الفتح الإسلامي؛ فقد روى البخاري أن نساء قلن للنبي "صلى الله عليه وسلم ": "غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما نلقاك فيه، فعيّن لهنّ يوما يلقاهن فيه و يعلمهن" فنتج جيل إسلامي خاصة نساء الأنصر لهن طابع علمي .[2]

وكان لهن عدة رحلات خارج الأندلس لتلقّي العلم؛ من بينهن اللاتي برزن في المجال العلمي و الأدبي ،حسانة التميمية بنت أبي الحسن التي تلقت الأدب و العلم و الشعر من أبيها و كذالك راضية مولاة عبد الرحمان الناصر[3]

التي وصفت بالكوكب السّاطع في قرطبة لتألّقها في عالم الأدب، وعليه فقد زخرت الساحة الأندلسية بعدد وفير من النساء اللاتي قمن بإثراء الأدب الأندلسي[4]، من جميع الفئات كأم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي إضافة إلى مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري، و ولادة بنت المستكفي يتحدرن من فئة الحرائر، كذلك الإماء و الجواري فلم تكن المرأة الحرة وحدها تخوض في ميدان العلم و المعرفة، وإنما ظهرت كثير من الجواري اللاتي اهتممن بمختلف أنواع العلم بهدف زيادة أثمانهن عند بيعهن؛ فمن بين الجواري في عصر ملوك الطوائف "إشراق السوداء العروضة " من مدينة بلنسية تلقت علومها من مولاها عبد الحمن بن غلبون.

وبذلك أصبحت وظيفة المرأة متساوية مع الرجل خاصة بعد تربية أبنائهن وتأديبهن، ويطلعنا ابن حزم على تلقي علومه الأولى على يد نساء قصر أبيه فيقول : "ولقد شاهدت النساء و علمت من اسرارهن مالا يكاد يعلمه غيري اللاتي ربيت في حجورهن و نشأت في أيديهن، ولا جالست الرجال إلا و أنا شاب"[5]

---

[1] سهى بعيون،إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، المرجع السابق،ص 121 .

[2] أحمد شبلي، الحياة الاجتماعية (موسوعة الحضارة الإسلامية)، ط5، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 122.

[3] حسين يوسف دويدار،المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، المرجع السابق، ص 333.

[4] سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي عصر ملوك الطوائف، المرجع السابق، ص122.

[5] بلعيدي رامي، النظرة إلى المرأة الأندلسية في عهد ملوك الطوائف،مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، بوزريعة (العاصمة)، ع 21، ص 533،534 .

الخطاطات الأندلسيات :

بعد تسابق الرجال في إظهار مهارتهم في فن الخط فإن النساء قد سابقن الرجال في هذا الفن وأظهرن التميز فيه ، فتعددت أسماء الخطاطات في الأندلس بعد إتقانهنّ لهذا الفنّ بشكل متميّز، من بينهن "صفية بنت عبد الله الربي " من بين النساء اللواتي حققن إنجازا في الخط إلا أنها لم يعثر على أخبارها شيء لا موطنها ولا حياتها، عرفتها المصادر بأنها من نساء القرن الرابع الهجري و أوائل القرن الخامس [1]

ذكر ابن شكوال طائفة منهن و أشار إلى اهتمامهن بالخط، نذكر لبنة كاتبة الحكم ابن عبد الرحمن، قال عنها كانت حاذقة بالكتابة بصيرة بالحساب مشاركة في العلم و خطاطة ماهرة، فاطمة بنت زكريا ابن عبد الله استكملت 94 سنة وهي تكتب وتجيد الخط، طونة بنت عبد العزيز بن موسى بن طاهر بن مناع كنيتها حبيبة كانت حسنة الخط ، ريحانة وهي جارية عند الطبيب أبي عبد الله الكناني ، ذكر جودة خطها ابن حيان وثقافتها المتنوعة، وعليه فقد وفرن للأندلس جوا غنيا بالثقافات و العلوم المتنوعة.

بعد تفقه النساء في الدين و الأدب و العلوم ومشاركتهن في مجال الحركة العلمية بشكل فعال[2] كانت مدرسة من أشهر المدارس بقرطبة تدرّس فيها النساء الأندلسيات،و كذلك الصّبيان والفتيان والفتيات[3]

و ذكر المراكشي أنه كان في الربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة لنسخ المصاحف بالخط الكوفي فبعد إتقان الخط تجاوزن ذلك إلى مرحلة النسخ للمصاحف[4] ، وقد كان القرن 5 هـ/ 11م مرحلة النّهضة الأدبية للنّساء في الأندلس؛ لأنّ اللّواتي ظهرن قبل هذه المرحلة قلة من حيت العدد و انحصر دورهن في إلهام الشعراء فقط ففي عصر ملوك الطوائف برزت عدة أحداث في الحركة العلمية [5] من قبل النساء بعد تردّدهنّ على المجالس الأدبية و المنتديات العلمية ، وكانت في فترة الخلافة جامعة قرطبية أعظم جامعة عربية تدرّس عدة علوم منها الفلسفة و الطب و الفلك و الكيمياء و الفقه و الأدب، فأنتجت نساء كثيرات برعن في إثراء الأدب الأندلسي بألوان طريفة في موضوعات الشّعر والأدب والفقه والدين والخط[6].

---

[1] أحمد خليل جمعة،نساء من الأندلس، المرجع السابق، ص 270 .

[2] حسين يوسف دويدار،المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/7551030م)، المرجع السابق،ص 230.

[3] نفسه، ص 231.

[4] نفسه، ص 230.

[5] سهى بعيون،إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس عصر ملك الطوائف، المرجع السابق، ص 123 .

[6] نفسه، ص، 122 .

دور المرأة في المجال السّياسي :

كان للحرائر والجواري نفوذ كبير في الحياة السياسية ، فكثيرا ما كانت تحدث عدة مهازل و مآسي تدبّر من قبل المرأة كما أنها نظّمت مؤامرات بين رجال الدولة و رجال البلاط بطرق مباشرة و غير مباشرة ، وأوّل مؤامرة كانت في بداية الفتح الإسلامي للأندلس و هي أحداث بين والي الأندلس و عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي قام بعدة أعمال ثبت من خلالها دعائم الإسلام في شبه جزيرة أيبيريا واستكمل فتحها، وقام بالقضاء على الكثير من الثورات تزوج إيخيلونا أرملة لذريق، وقد حمّلتها الكثير من المصادر العربية مسؤولية اغتيال عبد العزيز بن موسى على يد أتباعه، فقد نقل ابن عذاري و المقري و ابن الحكم الأحداث و التفاصيل، حيث استطاعت أن تفتن زوجها و تسيطر عليه بسبب جمالها الفاتن و ذكائها؛ فقد أقنعته بوضع تاج على رأسه ، تشبها بملوك النصارى ، بالرغم من معارضته لها. قال: ليس في ديننا استحلال لباسه، فقالت له : إن الملوك إذا لم يتوّجوا فلا ملك لهم ، فهل لي أن أعمل لك ما بقي عندي من الجوهر و الذهب تاجا؟، ولن يعرف أتباعك ما أنت عليه في خلوتك ، ولم تزل به حتى فعل [1].

وبينما كان جالسا و التاج على رأسه دخلت عليه زوجة زياد بن النابغة التميمي وهي نصرانية، ولمـّا عادت إلى بيتها قالت لزياد ، ألا أعمل لك تاجا ؟ فرفض و قال ليس من ديننا، فقالت إمامكم يضعه فوق رأسه فأعلن زياد ، إلى أبي عبيدة بن نافع فكشفوه و رأوه عيانا و صدقا فقالو تنصر، هجموا عليه وقتلوه[2].

وهناك رواية ثانية تضمّنت حديثا آخر كان سببا في مقتل عبد العزيز بن موسى ، حيث كانت إيخيلونا ملكة الأندلس في عهد زوجها لذريق، فأرادت استرجاع مكانتها مع عبد العزيز بن موسى، فقالت " مالي لا أرى أهل مملكتك يعظمونك ، ولا يسجدون لك كما كان يسجد لذريق فقال لها :هذا حرام في ديننا"

لم تقتنع و أصرت عليه حتى رضخ لها، واتخذ بابا صغيرا قبالة مجلسه يدخل عليه الناس فيسجدون له عند قصر الباب وجعل لها مجلسا تنظر منه إلى الناس وهم يعظمونه، فقالت له : " الآن قوي ملكك "، وكان هدفها الحفاظ على مكانتها العظيمة كونها تنتمي إلى أسرة ملكية، كما قامت كذلك بتحريض عبد العزيز على الاستقلال بالأندلس و تأسيس دولة يكون هو ملكها .

وهذا الأخير أظهر سياسة التساهل و المرونة مع أهل البلاد، حيث أكرم النصارى من أجل زوجته كما قال البعض بنى كنيسة تعرف" برينة او رفينة " على باب مسجده، وكان يسكن في الكنيسة معها وقال آخرون أنها حملته على

---

[1] راوية عبد الحميد شافع،ا لمرأة في المتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة(92-422هـ/ 711-1031م)، السابق، ص، 106 .

[2] المرجع نفسه، ص107 .

النصرانية فتنصر، و كان هذا الاعتقاد دليل على هذا أن عبد العزيز بن موسى كان يصلي في مسجد روفينا بمدينة إشبيلية يوم قتله على يد زياد بن عذرة البلوي سنة(97هـ – 715م) [1]

أدّت المرأة في المجتمع الأندلسي الحرائر و الجواري مهمة في الجانب السياسي و هي التقريب بين السياسيين و خصومهم بالإضافة إلى إقامة أواصر المودة و الوئام بين السياسيين المتخاصمين، و عادة ما تكون هذه المقاربات في الأندلس بالمصاهرات بالنسبة للحرائر كزواج موسى بن نصر من أم عاصم ، وكذلك زواج المنصور ابن أبي عامر من أسماء بنت غالب صاحب الثغر الأعلى، وكثيرا ما كانت الجارية تهدى ، كما فعل المنصور بن أبي عامر ذي كان يؤلف بهدايا الجواري بين القلوب الشعراء، إذ أرسل ثلاث جواري إلى الشاعر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الذي قال في ذلك:

قَدْ بعَثْنَاَ بهاَ كَشمسْ النّهار فِي ثلاث مِن المهاَ أبْكاَر

فاَ تَئِد وا جتَهد فإنكَ شيخْ قد جَلاَ اَليلُ عن بَياض النَهار

صانكَ الله عن كلالك فيهاَ فَمن العَار تَحلّة المِسمار [2]

وقد كانت للجواري مشاركة في عدة حروب و معارك ، يأتون بهم من أماكن شتى في أوربا و غيرها. يقول المراكشي عن المنصور بن أبي عامر " وملأ الأندلس غنائم و وسبايا من بنات الروم و أولادهم و نسائهم ..." و يذكر إبن الأبار أنه في إحدى غزواته لمملكة جليقية سنة(371 هـ)عاد ب 4000 سبية [3].

وقد كان لهن تأثير و نفوذ على بعض الأمراء و الخلفاء ،كجارية عبد الرحمان الأوسط جاريته الثالثة (فخر) وهي التي أبلغته بخبر المؤامرة التي دبرت ضده [4].

و نجد أيضا طروب جارية إسبانية قادمة من بلاد الإفرنج، حظيت بالشهرة والمكانة العالية ، ذات جمال فتان تعلق بها عبد الرحمان جاءت إلى إسبانيا حاملة معها حصيلة كبيرة من الأغاني و الأشعار ، فتحت لها الطريق لتحكم في إسبانيا العربية و السيطرة على الأمير عبد الرحمان الأوسط [5]

---

[1] خالد حسن حمد الجبالى، الزواج المختلط بين المسلمين و الإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس و حتى سقوط الخلافة(92هـ- 422هـ)، السابق، ص170 .

[2] جاسم ياسين الدرويش،دور المرأة في الحياة الإجتماعية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة، جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، مجلد 41، ع4، 2016، ص 97

[3] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/ 755-1030م، ص319-320 .

[4] نفسه، ص325

[5] راوية عبد الحميد شافع ، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة ، المرجع السابق، ص 111 .

ترك عدة قصائد شعرية يتغزل بها قال :

شاقكَ من قُرطبة السَري فِي اليلِ لَم يَدرى بِه الدّاري

طالت غيبته عنها حينما خرج في غزوته إلى جليقية فقال :

فقَدتُ الهَوىَ مُذ فقَدتُ الحبيبا فَماَ أَقطعُ اليَسَل إلا نحيبا

وَإذاَ بدت لِي شمْسُ النَهار طالعةٌ ذَكرتنِي طروُباً

ورغم حبه لها إلا أنها كانت أقل وفاء كانت تريد حكم العرش لابنها عبد الله وفعلت المستحيل للاستيلاء على العامة و الخاصة لولدها لكنه كان صغيرا في السن، و وصل بها الأمر إلى ابتزاز الأمير و هجره بسبب أنه رشح ابنه الأكبر لولاية العهد محمد [1]، ومن الجوانب الإيجابية التي تميزت بها أقامت مسجدا نسب لها بربض الغربي بقرطبة [2].

برز للأندلسيات عدة أعمال في المجال العسكري أيضا، حيث تحدثت عدة مصادر تاريخية على شجاعة النساء و كيفية مشاركتهن في الحروب كما حدث أثناء غزوة سرته في عهد الخليفة عبد الرحمن الثالث حينما قام بنو ذي النون بمهاجمة حصن سرته، وتمكنوا من أسر صاحبه خلف بن عبدوس، ثم قتله داخل السجن، وفي تلك اللحظة استطاعت أخته بفضل شجاعتها أن تسيطر و تدافع على الحصن، وقامت بمخاطبة عبد الرحمان الثالث بمساعدتها ، فأرسل لها جيشا بقيادة عبد الحميد بن باسيل فتمكنوا من الانتصار على بني ذي النون والاحتفاظ بالحصن، كما برزت أيضا عجب زوجة لب بن موسى كانت جارية عنده و تزوجها، دار بينه و بين إخوته خلاف بعد وفاة والده في الوقت الذي كان فيه لب رهينة، فقد استولى كل من إخوته على الميراث بعد إطلاق سراحه، فطالب إخوته بالميراث فقاموا بمهاجمته في حصن "بقيرة" للتخلّص منه، حيث تمكّن من الانتصار عليهم و استولى على حصون أخرى مما أثار غضبهم، فقاموا بمهاجمته مرة أخرى فتمكنوا من أسره، أشاروا لزوجته تسليم الحصن مقابل تسريحه ، رفضت في بداية الأمر وبعد تيقنها أنهم سيقتلونه وافقت وأطلق سراح زوجها " لب" بقي في بقيرة حتى توفي .

كذلك نجد الكاتبة أميمة جارية الحسين بن يحي تولّت حراسة الخليفة هشام المؤيد الذي اختبأ في دار سيّدها الحسين بسبب الفتنة الكبرى التي حلت بالأندلس، ولم تكن المرأة عموما بعيدة عن الأحداث العسكرية، فقد قامت بدور فعّال فيه، حيث وصل الأمر ببعضهنّ إلى الاعتصام و التّمسّك بالحصون والقلاع والدّفاع بشراسة ضدّ العدو و كانت من الأسباب التي أدّت إلى الانتصار في الحروب [3].

---

[1] نفس المرجع،ص 112-114 .

[2] حسين يوسف دويدار،لمجتمع الاندلسي في العصر الأموي (138- 422هـ /755-1030م)، المرجع السابق، ص 330 .

[3] خالد حسن حمد الجبالي، الزواج المختلط بين المسلمين والاسبان من الفتح الاسلامي للأندلس حتى سقوط الخلافة، السابق، ص 196-198 .

وكان لها دور في تدبير المؤامرات والقتل بعد وفاة المنصور محمد بن ابي عامر جاعلا ولاية العهد لابنيه من زوجته الحرة "ذلفاء" دون ابنه عبد الرحمان من زوجته عبدة بنت شانجة ، فاشتهرت الأولى ذلفاء بالتّخطيط والمؤامرات للقتل، إذ ساهمت في مقتل الوزير عيسى ابن سعيد مصاهر المنصور، وسبب مساهمتها في الايقاع بالوزير يعود لمساهمته في زواج ابنها عبد الملك من بنت مولاته الجنان [1]، كما كان لها أيضا دور في شؤون التولية والعزل حتى كانت حول كل امرأة مشهورة حاشية تدبر المكائد و تستأثر بالوظائف و المنافع، وهو ما كان له أثر تارة إيجابي و تارة سلبي[2] ، وهذا راجع إلى سحرها و نفوذها حرة كانت أو جارية ، فقد جارت الرجل في حسن التدبير في الأمور السياسية أو العسكرية [3].

المجال الاجتماعي :

كان للأندلسيات دور هامّ في الحياة الاجتماعية، وأنّ العلاقة بين المرأة و الرجل لم تكن تأخذ الشّكل نفسه تماما في جميع طبقات المجتمع الأندلسي، فكانت مكانتها تتباين حسب طبقتها في المجتمع؛ فحال المرأة في الوسط الأرستقراطي يختلف عن حال المرأة لدى العامة ، إذ تمتعت المرأة الأرستقراطية بمكانة رفيعة واعتبرت ندّا للرجل و في بعض الأحيان تمرّدت على التقاليد السّائدة[4]، فقد اشتهرت بتحررها و اختلاطها بالرجال ، كما عرفت بجرأتها في التعبير عن مشاعرها و عواطفها، إذ نجد أم الكرم بنت المعتصم صاحب المرية هامت بفتى و أخذت تقول فيه شعرا مفصحة عن مشاعرها :

مِما جَنته لَوعِه الحُبِ يامَعْشَر النَاس ألاَ فأعجَبوُا

لولاَهُ لَم ينزِل لبَدر الدُجى منْ أفُقِه العُلوي للتُربِ

حَسبي بِمن أهواَه لوْ أنَه فارَقني تا بعهُ قلبي

ونجد أيضا تمرد ولادة بنت المستكفي، إذ زعموا أنها كتبت على أحد عاتقي ثوبها :

أناَ والله أصْلحُ للمعاَلي وَأمشي مشْيتي وَأتيه تيْها[5]

ومن مظاهر تحرّرهنّ أنّ الرّجال كانوا يتحرشون بالفتيات على قارعة الطريق من غير حياء أو خجل أو خوف من الرقيب ولم يقتصر الأمر على الحرائر فقط و إنما تعدّى إلى الجواري أيضا، هذا ما رواه أبو محمد بن غانم عن نفسه

---

[1] نفسه ،ص 191-192 .

[2] محمد سعيد دغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس ، ط1 ، المرجع السابق، ص 50.

[3] سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس، المرجع السابق، ص77 .

[4] نفسه، ص 71 .

[5] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق 5هـ، المرجع السابق، ص 115 .

قائلا: (وكنا على الواد في أيام الربع ، فمر به سرب ملاح فيهن جارية حسناء ظريفة المنطق ، وهي تأكل باقلاء فاعترضها و سألها منه فدفعته إليه فقال بديهة :

وسِربُ ملاَح مرَ بِي و بصاَحبِي ونَحنُ على ماَء يُذكُرنَا عَدنَا

وَيَحمِلنَ فَلولاَ عندَهن نَظيرهُ عَوانُ وَ لَكنَ نوُرهُ عز أن يَجنِي

فقُلتُ عسىَ من فوُلكنَ بقية فقلنَ : وَ أيُ الفُول ترغبُه مناَ ؟

فقلتُ .....

فالقصيدة مملوءة بالفجور و التهتك و بعيدة عن الأخلاق و المعايير الإسلامية [1]

كانت المرأة مساوية للرّجل وفي بعض الأحيان تتفوّق عليه[2]، وإنّ النساء كنّ يقمن على أزواجهن أو أقربائهن، ولم يتردّدن في اللّجوء إلى القضاء لتطليق الزوج، أو استرداد حق متعلّق بالإرث، أو حماية كرامتهن، وهذا عكس ما يراه البعض عن قمع المرأة في المجتمع الإسلامي الذي يحكمه الرجل[3]، فقد كانت تجمع الثروات و تعيش عيشة رغد وهناء خاصة نساء هذه الطبقة[4]، حيث نجد الثرية الحرة حواء بنت تاشفين عند وفاة زوجها الأمير المرابطي، أمرت بالتّصدّق بثلث مالها على المساكين في مدينة إشبيليا و أعتقت ما لديها من رقيق لوجه الله تعالى[5]، و من هنا تحرّرت وولادة بنت المستكفي، و مهجة القرطبية، نموذجان عاكسان لسلوك المرأة الأرستقراطية المتحررة[6].

كانت للمرأة الأندلسية مساهمات كبيرة في الحياة العامّة خاصّة الاقتصاديّة والاجتماعيّة، وقد اختلفت حياتها من فئة إلى أخرى، حسب المكانة و المستوى المعيشي؛ إذ كانت المرأة في الفئة العامّة عاملة داخل البيت و خارجه حيث تقوم بتدبير شؤون بيتها و تربية أطفالها و القيام بالأعباء المنزلية لعدم وجود جواري لمساعدتها [7]، بسبب غلائهنّ مقارنة بدخل الزوج الضئيل جدا، وهو ما يجعله غير قادر على شراء جاريته، إذ كان سعر الجارية الواحدة يصل إلى ألفين أو ثلاثة آلاف دينار مع مراعاة سنّها و جمالها و ثقافتها و صفات أخرى، ومن هنا فإن الحصول عليهنّ كان بمثابة حلم مستحيل بالنسبة للأوساط العامّة، وأحيانا كانت تجبرها الظروف للخروج و القيام بأعمال كالبيع و التّجارة لتحصيل قوت عائلتها ومساعدة الرجل لتلبية حاجيات الأسرة، والمرأة العاملة سواء كانت في الرّيف أو في

---

[1] عمر إبراهيم توفيق، صورة المجتمع الأندلسي في ق5، ط1، المرجع السابق، ص 114- 115.

[2] سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس، (م س)، ص 72

[3] عبد العزيز حاج كولة، الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 6/5 هـ 12/11 م، المرجع السابق، ص 73 .

[4] سهى بعيون،إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس، المرجع السابق ص 72 .

[5] عبد العزيز حاج كولة،الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالأندلس من خلال النّوازل الفقهيّة في القرنين 6/5 هـ – 12/11م، المرجع السابق، ص 74 .

[6] سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس، المرجع السابق، ص 72

[7] ربيع رقي، مدينة المرية في عصر المرابطين دراسة اجتماعية و اقتصادية 4846- 542هـ /1091- 1184م ، المرجع السابق، ص 100.

المدينة عملت بواجبات أكثر داخل المنزل وخارجه بحيث تساوت مع الرجل في ذلك، إذ يذكر المؤرخ الأندلسي ابن بسام أنّ الشّاعر الأندلسي المعروف ابن اللّبانة كانت له أمّ مجدة في عملها أخذت على عاتقها إعانة أولادها ببيع اللبن، فتعدّدت أعمالها في هذه الطبقة فهي المرضعة و الماشطة المزينة للعرائس في زفافهن، والفلاحة كما كانت تغسل الثّياب مقابل أجر محدّد، كما كانت تغزل وتنسج.

كما تجدر الإشارة إلى وجود حواجز كثيرة كالعرف مثلا وقفت حائلا أمام المرأة من الطّبقتين الأرستقراطيّة والوسطى في التّعبير عن المشاعر و العواطف، لكن امرأة الطّبقة العامّة كانت أكثر حرية في أن تحبّ وتعبر عن إحساسها بإخلاص[1].

ومن الملاحظات المسجّلة في المجتمع الأندلسي أنّ المرأة العامّة تعيش أغلبيتهنّ في الرّيف، تعدّى مجال عملها في الحقل وبيع المنتجات، لذلك اختلفت مصادر عيشها نسبيّا عن موارد نظيرتها في العائلات الحضريّة، حيث احتلّت موقعا هامّا في عملية الإنتاج، اتّصفت بمهارة في عملها، وساهمت بشكل فعّال في الميدان الزّراعي، كما أنّه أهمل تعليم النّساء وحرمنّ من العيش المحترم ليس كنساء الأوساط الأخرى، وأيضا كان لهن علاقة بالرجال ذوي المكانة الاجتماعية المرموقة، ونساء ينتسبن إلى عائلات الملوك أين كن خادمات لهم بمن في ذلك الجوار[2] اللواتي ظهرن بسبب تجارة الرقيق التي انتشرت في الأندلس فكثر عددهنّ، وكان هذا دافع للمرأة في الطبقة الفقيرة لمزاولة نشاطها داخل قصور الملوك[3].

المجال الاقتصادي :

بعد الفتوحات الإسلامية أصبح للمرأة الأندلسية الحرية الكاملة في ممارسة عدّة مهن، ممّا ساهم في رفع الإنتاج الاقتصادي بجانب الرّجل، وذلك من خلال فرض شخصيتها وتوسيع آفاق تفكيرها، وهو ما جعل لها مكانة مرموقة في مجتمعها، ولم يكن هذا التّأثير للمرأة المسلمة فقط، بل كان للجواري دور فعال أكبر من الحرائر، وقد أسهمت المرأة الأندلسيّة بصورة واضحة في الحياة الاقتصادية، إذ تمكّنت من إدارة تجارتها والسّيطرة على شؤونها المالية، كما قامت بمنح قرض لزوجها من مالها الخاص، ومشاركة الآخرين أراضي زراعية، إذ لم يكن عملها محظورا داخل الأندلس، بل كانت تشارك في الكثير من الأعمال سواء في المدينة أو الرّيف لم يقتصر عملها على الحفاظ على

---

[1] صلاح خالص،اشبيلية في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية تاريخية، السابق، ص 90- 92 .

[2] سهى بعيون، إسهام المرأة الأندلسية في النشاط العلمي في الأندلس، (م س)، ص 73، 74 .

[3] خالد حسن حمد الجبالي،الزواج المختلط بين المسلمين و الإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس و حتى سقوط الخلافة (92- 422هـ)، (م س)، ص 94 .

زوجها فقط أو تربية أبنائها كما كانت عليه المرأة العامية، بل أصبحت تتدخّل في مجريات الأمور والحكم خاصة في الأعمال الزراعية والتّجارية بجانب الرجل[1].

كما أتقنت عدّة مهن وصناعات كانت خاصة بها من بينها: تربية و تدريس أبناء الطّبقة العليا، إجادة الخط، الحجامة، وبرزت أيضا في مجال صناعة الأطعمة و الأشربة، و كانت لها وظائف أخرى كالراشدة أو المدبرة اللّواتي تكون لهنّ صلة مباشرة بالأمير، وعملت في مغزل الصّوف، وكان سببه أنّ النّساء إذا جلسن بدون عمل فإنّهنّ يفكّرن في الغزل أو نسج الصوف[2].

كما راجت صناعة الغناء في الأندلس فأجاد بعضهن فن الغناء واهتممن به بعد دخول الكثير من الجواري اللّواتي مارسن صناعة الغناء كابنتي زرياب حمدونة وعليّة اللّتين امتهنتا الغناء، بعد اشتهار الجواري في الأندلس أصبحن يتلقّين تعليم فنون الأدب التي كانت شائعة؛ وذلك بغرض بيعهنّ بأغلى الأسعار، فقد بلغ بعضهنّ ألوف الدّنانير و كانت تزداد ارتفاعا كلّما تميزن بصفات كالثقافة و الجمال، كما أطلق عليهنّ عدّة تسميات منها السّاريات، و القيان أو الوصائف أو الستر ، وقد شاع في الأندلس امتلاك الجواري بسبب تنشيط الاقتصاد في المجتمع وأصبح لهنّ مكانة مميزة، إذ قمن بتعليم الصّغار، ومثال على ذلك ما قاله ابن الحزم حينما تحدّث عن نشأته وتعليمه[3]، ولم تقتصر أعمال المرأة في المجال الاقتصادي على الأعمال التقليدية، بل تمكّنت من اتخاذ "حانوت" تعمل به خارج حدود منزلها ، كما قامت بعمل الخاطبة الذي كانت تختصّ به النساء العجائز، إذ تهيّئ الظروف بين الخطيبين، كما مارست مهنة الفروسيّة، و كانت جميلة بنت عبد الجبار المصمودي من أشهر النساء اللاّتي برزن في هذا المجال، كما امتهنّ أيضا مهنة الغاسلة وهي التي تخرج لغسل المرأة الميتة، والنائحة التي تستأجر للبكاء على الميت ولها طقوس خاصة كالصراخ و الندب. قال ابن عبد ربه :" وليست النائحة الثكلى ، مثل النائحة المستأجرة "

كانت المرأة الأندلسية تطبّق عليها القوانين المعمول بها، فإذا ارتكبت إيّ مخالفة سواء في التّجارة أو الغش تحدّد لهنّ العقوبة على قدر الجرم و يودعن في السّجن مثلهنّ مثل الرّجال، ولكن كان لهنّ سجن خاصّ بهنّ، كما لعبت المرأة الأندلسية دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية وبصفة خاصة الجواري، فكانت الجارية التي تتقن الصّناعات تكون هي الأغلى من مثيلاتها في السّوق و يستفيد منها مشتريها اقتصاديا أكثر من الأخريات اللّواتي لا يتقنّ الصناعة، وقد انتشرت أسواق الجواري وكانت بمثابة المركز الاقتصادي خاصة في "مالقة "، وكانت تدار هذه الأسواق من قبل سماسرة ونخّاسين من أوربا المسيحية، وبعد توسّع هذه التّجارة و ارتفاع المستوى الاقتصادي في الأندلس اقتضت

---

[1] لمياء توفيق دلة، الأندلس الإسلامية بين ملوك الطوائف و دولة المرابطين ، (م س)، ص 341 .

[2] راوية عبد الحميد شافع، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، (م س)، ص 182 .

[3] خالد حسن حمد الجبالي، الزواج المختلط في الأندلس بين المسلمين و الإسبان ، المرجع السابق،ص 99 .

حاجة المسلمين الذّهاب إلى مدينة "براغ " لشراء أعداد كبيرة من الجواري ثم يعودون إلى الأندلس لكسب أرباح من وراء هذه التجارة[1].

استخدمت الجواري للتّجارة، وكسب الأرباح، والتّربية، والتّعليم، والزّواج، والمتعة، و أصبح كل بيت من البيوت الأندلسية لا يخلو من الجواري، لكن كثرة الجواري انعكس سلبا على المجتمع، بحيث عانى منه أبناء الملوك و السّلاطين نتيجة معاشرتهم للجواري منذ طفولتهم فخرج جيل جديد، ومثال ذلك ابن حزم الذي تربى في القصور تحت أيدي النساء و الجواري فتعرّف من خلالهنّ على سرائر الحياة الجنسية و حيل النساء، سيئ الظن بالمرأة، كذلك هشام المؤيّد بن الحكم المستنصر الذي أجبر على الإقامة بين الجواري [2] وذلك بعد لجوئهن إلى دار البنات و التي تعرف ببيوت الدّعارة كانت تقدّم لروادها اللّهو و المجون، وكان سبب ذهابهم إلى تلك البيوت عدم قدرتهم على شراء الجواري بسبب ارتفاع أثمانهن[3] .

ومن المفيد أن نشير إلى أنّه اختلفت المصادر حول الوضع الاقتصادي للمرأة الأندلسية الحرائر أو الجواري، إذ يرى المستشرق الفرنسي "جيشار " أنّ المرأة لها تأثير في الاقتصاد خصوصا المرأة المسلمة في كتابه (الحياة الاجتماعية). يقول: أن جميع العلماء و الباحثين في الاجتماع أن النظريات القرآنية و الأحكام الشرعية قدمت الكثير للمرأة في الوضع الاقتصادي كمسألة الميراث وحقّها في الممتلكات؛ فقد تمتّعت باستقلال اقتصادي ومادي كبير في الجاهلية و ظهور الإسلام حتى في الأندلس ، كما أشار إلى أنها امتلكت هذه القدرة الاقتصادية بفضل الوسط الذي تعيش فيه والطريقة التي تربّت بها بحيث تستطيع أن تدير شؤونها بقدرة عالية [4] ، ويرى الدكتور صلاح خالص أنّ دورها الاقتصادي في المجتمع الأندلسي لم يؤثر بشكل فعّال عكس المجالات الأخرى، ويرجع ذلك إلى عدم التأثير الاقتصادي بسبب امتلاك الرجل لجميع وسائل الإنتاج كالأراضي الزراعية و العقارات [5].

وبمجمل القول فإنّ المجتمع الأندلسي تنوّع بعناصر أثّرت في عدّة مجالات سياسيّة و اجتماعية واقتصاديّة، و من بين هذه العناصر نذكر (العرب ، البربر ، المولدين ، الصقالبة ، اليهود)، حيث أثّر كلّ عنصر بطريقته الخاصة في الحياة الأندلسيّة، و تميزت كل طبقة بمجموعة من الامتيازات كـ(الموقع الجغرافي، الأنساب ، القبائل، العصبيات التي ظهرت حول السلطة، الثروة ، النفوذ... وغيرها)، وقد كان لهذه العناصر دور مهمّ في المجال الاقتصادي و

---

[1] سهى بعيون، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي للأندلس حتى سقوط قرطبة، المرجع السابق، ص179-182 .

[2] الزواج المختلط في الأندلس بين المسلمين والإسبان، المرجع السابق، ص 100 .

[3] نفسه، ص 100،101 .

[4] سهى بعيون، المرأة في المجتمع الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط قرطبة ، (م س)، ص 171 .

[5] صلاح خالص، إشبيليا في القرن الخامس الهجري دراسة أدبية تاريخية ، ج 3، (م س)، ص 90، 91 .

السّياسي، إذ مارست عدّة مهن نشّطت الاقتصاد الأندلسي، وقد لعبت المرأة دورا كبيرا في ذلك إلى جانب الرّجل، أمّا في الجانب الاجتماعي فقد كانت ثلاث طبقات (الخاصة ، العامّة ، السّفلى) كان لكلّ واحدة منها بالغ الأثر في تشكيل الحياة الأندلسيّة، فبالنسبة للطّبقة الخاصّة فقد كانت معروفة بقادتها ووزرائها، وتمتّعت بالثّراء الفاحش، والعامّة التي ضمّت التّجار و الفلاحين، أمّا السفلى الكادحة في المجتمع فقد تعرّضت للظّلم و التعسّف و غلب عليها العنصر الأسود،كما أفرز الخليط من الدّيانات (الإسلاميّة، المسيحية، اليهودية) فلسفة التّعايش والتّسامح خاصّة بين الدّيانتين الإسلاميّة والمسيحيّة التي شغل معتنقوها عدّة مناصب و مارست شعائرها بحرية مطلقة.

الفصل الثاني:

مظاهر الحياة الإجتماعية في عصر ملوك الطوائف بين التاريخ والأدب

1 / الإخوانيات

2/ العادات و التّقاليد

3/الإحتفالات و التسلية

4/الأخلاقيات

1/ الإخوانيات :تعرف لإخوانيات بتصوير العلاقات بين الشعراء و ممدوحهم ، في مختلف المناسبات و التي تتمثل في التهنئة ، الإعتذار ، المداعبة ، العتاب ، الحنين ، و يكون فب غرض شعري غالب عليه التأنُّق و المودّة و يتمثل هدفه في توثيق العلاقات بين الأصدقاء و الأحباب و لم تكن الإخوانيات محصورة في الشعر فقط بل إتجهت إلى رسائل نثرية تعرض في المناسبات .

أ/ في الصداقة و الأصدقاء :

تميز المجتمع الأندلسي بالعديد من القصائد و الرسائل النثرية ظهرت بشكل فعال بين الشعراء ساهمت في التعريف بالعلاقات سواء كانت علاقات محبة أو عداء ،فقدتعددت أسماء الشعراء ،كما نجد ابن السهل الأندلسي إلى الوزير أبي علي بن خلاص بأبيات إخوانية معبرا على إشفاقه عليه و مهنئا له بالشفاء من المرض يقول :

ظل الزمَان محيراً لشكاية فَلو أنه عينُ أذُن لم تطرَف

عجبا من الأيام تسقُمهُ وَماَ زالت بِه من كلِ سقَم تشْتفي

ونجد أيضا أمثلة الحنين للأصدقاء فقد كتب إبن خفاجة إلى صديقه الفقيه الفاضل أبي بكر بن مفوّز يقول :

وَلأن سَولت وَما أخالكَ ناسياً كرم الإخاَءِ فإنني أتشَوق

وَ يهيجنِي نَفْسَ النَسيم إذاَ سرىَ وَ يُشَوقُنِي فيكَ الحمام الأَورق[1]

وقد تفنن إبن خفاجة في مدح أصدقائه إلى أنه جعل ابن بسام يقول فيه : " وإن مدح فلا الأعشى للمحلق ولاحسان للأهل جلق ، و إن تصرف في فنون الأوصاف ، فهو فيها كفارس خصاف "

فقد أخد معنى أمرء القيس الشهير :

بكىَ صاحبِي لما رأى الدربَ دونه وَأيقن أنّا لاحقان بقيصراَ

فقلتُ لَه : لا تبكِ عينُك إنماَ نحاول ملكَ أو نمُوْة فنُعْذَراَ[2]

---

[1] نضال سالم النوافعة ،لشعر الإجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، أطروحة ماجستار في الأدب ،(مخطوط) ، إشراف شفيق الرقب جامعة مؤوتة ، الأردن ، 2004 ، ص 55 .

[2] معين خليف القرالة ، لشعر الأندلسي في عصر الطوائف (وأثره الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل فيه) ، ط1 ،دار الفاروق ، الأردن ، ص 87 ، 88 .

ويقول إبن حزم يخاطب صاحبه أبا المطرف* إذ يقول :

أخٌ لِي مشْكور المساَعى وَسَيّدٌ تَسَرُّ بواديِه إذاَ ساءكَ الصّحبُ

أَلَمَ يجالِينِي جَلاء مجرَّبٍ علَى أنهُ حقّ بِي العَالم الطِّبُّ [1]

و كتب الأعمى التطيلي إلى أبي الحسن إبن بياع السبتي :

أبا حَسن دُعاءاً أو حنينا وَلاَ آلوكَ إن كانت خُباَلاَ

أناديِ فِي التّظلّم من زمانٍ عداَ تلكَ الزّيارة و الوصالا

وَلَوْ أنّ الخيالَ ينوبُ عني لأبلغكَ الكرَى قصصاً طوالا[2]

طغت قصيدة المدح و غطت جميع جوانب شخصية الممدوحين من قبل الشعراء تغنى أصحابها بالمدح وذلك يعود إلى بطولاتهم وأمجادهم في الحروب و أصالة أنسابهم و كرمهم ، من هؤلاء الشعراء أصحاب مذهب العرب الأوائل أبو علي إدريس اليماني * مدح باديس بن حبوس حيث قال :

القائدُ الجُردَ العتاقَ كأَنهاَ لُجَجٌ زواخَر أو عوارضُ لمِعُ

متوَقدٌ فِي الحادثات إذا دَجتْ فكأنه فيهاَ شهابٌ يسطعُ

علمٌ هو القمرُ المباهي طالعاً صنهاجة وهُمُ النُجوم الطّلّعُ [3]

وقال التطيلي[4] في مدحه لأبى العلاء بن الزهر :

---

*ابو المطرف : هو عبد الرحمان بن أحمد بن بشير قاضي الجماعة في قرطبة يعرف بابن الحصار ، تربط بينه و بين إبن حزم علاقة صداقة و تداولت بينهما الرسائل .

[1]إبن حزم الظاهري ، ديوان الإيمام إبن حزم الظاهري ، ط1، تح صبحى رثاء عبد الكريم ،كلية اللغة العربية ، جامغة الأزهر ؛ دار الصحابة للتراث ص 73 .

[2] ديوان الأعمى التطيلي ، تح و شرح ،محي الدين ديب ، ط1 ، لبنان ، ص 77 .

*هو أبو علي إدريس بن اليماني العبدريّ اليّابسي من الجزائر الشرقية على سمت مدينة دانية الأندلسية أصله من قصطلة الغرب تردد على ملوك الطوائف نشئ بداية و قرء فيها

[3]معين خليفة القرالة ، الشعر الأندلسي في عصر الطوائف (و أثر الثقافة المشرقية في ترسيخ مذهب الأوائل فيه) ، السابق ، ص 85 .

[4] هو أبو الجعفر و أبو العباس ، أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي المعروف بالأعمى التطيلي ينسب إلى قبيلة قيس ، و إلى البلد تطيلي نسبة إلى مدينة تطيلة .

يفيدُكَ كلّ جَبانٍ في ثيابِ جري نازَعتهُ الوِرد و إستأثَرتَ بالصّدرِ

لَما رأى الخُبر شيئ لَيسَ ينكُرهُ أحال بالدينِ وَ الدنياَ على الأثر[1]

ب/ في التهاني و التهادي :

نجد قصائد شعرية تغنت بأبيات معبرة عن التهاني بالشفاء أو مولود جديد ، أو الشجاعة و الكرم ، أو الزواج و المناسبة السعيدة ، مثلما كتب الأعمى التطليلي أبياتاً يهنئ فيها صديقه معبرا عن سروره بعد شفائه يقول :

لاَ تَستَرب من ذاَ النحولاَ فانه صدأٌ أصاب الصارم المصقُولا فالبدرُ

يَكسفُ فِي علوِ مكانهِ واَلَو عَكَ يَدخُلُ للهَزبر الفيلاَ

وقد تبادل الشعراء في إخوانياتهم قصائد التهنئة بالمولود إذ يقدمون على التهاني في هذه المناسبة السعيدة فكتب إبن الأبار إلي أحد أصدقائه أبيات يهنئه فيها إذ يقول :

هُنّئْتَ ياَ بَدرَ الكَمالَ أهلةٌ طَلعتْ بأسعَد حالةٍ وَمآبِ

إثنانِ ثُمّ إبناَن منكَ تَفَرّعَ فِي أطْهرِ الأخْ[2]ساب وَ الأنسابِ

ويعد العتاب بين الأصدقاء موضوعا مهما في الشعر ، فقد كثر هذا النّوع من القصائد ، حيث نجد ذلك في قصيدة إبن خفاجة في معاتبته صاحب (القلائد) الفتح بن خاقان يقول :

خذها يَرِن بهاَ الجَوادَ صهيلاً و تسيلُ ماءٌ في الحسامْ صقيلاً

حمّلتها شَوقاً إليكَ تحيةً حملتهاَ عتبا عليكَ ثَقيلاً

من كُل بيت لو تَدفقَ طبعُهُ ماءَ لغَص بِه القضاء مسيلاً

كما برزت بعض الأشعار الخاصة بالتهادي ، حيث كان الشعراء يرسلون هداياهم مرفقة بأبيات شعرية معبرة عن تلك المناسبة من بين هؤلاء الشعراء المتوكل حين أهدى للوزير أبو محمد بن عبدون باقة ورد و قارورة خمر و قصيدة يقول فيها :

إليكَ فاجتلَيتها منيرةٌ وَقَد خبأَ الشهاب الثاقبْ

واقفة بالبابِ لم يؤذن لَهاَ إلاَ وَقَد كاَد ينامُ الحاجب

فبعضهاَ من المخاف جاَمد وَبعضُها من الحياء ذائ

---

[1] ديوان الأعمى التطيلي ، السابق ، ص76 .

[2] أبي عبد الله محمد إبن الأبار القضاعي البلنسي ، ديوان إبن الأبار ، ص 92.

لم تحمل هدايا المتحابين فيما بينهم القصائد الشعرية فقط و إنما أرفقت أيضا برسائل نثرية بعدما أصبح الأسلوب المعبر في جميع المجالات نظرا لمخاطبته لمراكز الإحساس العاطفي و لما تحمله من طابع وجداني.

وقد لاقت قبولا حسنا عند الأدباء و النقاد ، فالرسائل الإخوانية النثرية هي رسائل يعالج فيها الكاتب أو الشاعرالقضايا الإجتماعية كرسائل الشكوى و التهاني و العتاب و الإعتذار و الشكر و الثناء و التعازي و الإستعطاف و ما شابه ذلك من الموضوعات و الأغراض .

وقد تعددت الأشكال النثرية من رسالة ، و خطبة مكتوبة ، و مقامة ، بحيث تضمّنت موضوعات بطولية جادة و موضوعات سخرية[1].

و من أوائل من كتب الرسائل النثرية إبن دراج القسطلي الذي إشتهر أيام الحاجب المنصور أفنى أبن شهيد و إبن حزم على رسائله ومن نثره قطعة يثني فيها على منذر بن يحيإذ يقول فيها : ((حياك بتحية الملك من أحيا بك دعوة الحق ، و رداك رداء الإعظام من أعلى بك لواء الإسلام : مجري الأقدار بإعلاء قدرك ، و مصرّف الليل و النّهار بإعزاز نصرك ، و مظهر من أطاعك على من عصاك ،ومدمّر من عاداك بسيوف من والاك . قد جعل الله أوّل أسمائك أولى بأعدائك ، و أقرب إعتزائك صفوا لأوليائك)).

كما نجد رسالة شكر للوزير عمر بن الباجي كتبها عن المقتدر بن هود ملك سرقسطة إلى ابن ذي النون ملك طليطلة يشكره فيها على إطلاق صراح أبي مروان بن غصن الحجازي قال فيها : ((كتابي – أيّدك الله – كتاب أعريته من ذكر الوداد ، و عدلت فيه عن وصف الإعتقاد ، خرقا لعادة المتودّدين ، و صفحا عن طريق المتصنعين على أني – علم الله – في الصدر المقدم ممن يواليك و الرعيب الأوا ممن يتشيع فيك . وأفردته بشكر يدك البيضاء ، و حميد صنيعك الغراء ، التي طوقت بها جيد الأدب طوقا يبقى على الحقبة ووضعت على نار الذكاء وقودا يسطع بطيب الثناء ...)) .[2]

و هناك رسالة نثرية لإبن خفاجة كتبها لصديقه القاضي بعد رفعه إلى رتبة عالية فبعث له برسالة يهنؤه فيها ((أن القضاء وإن شرف مرتبة ، و كرم مأثرة ..... ليضيق عن نصل فضلك غمده و يغرق في بحر فخرك مده ، و يزدان بنحر مجدك عقده .)) و كذلك هنأ القضاء على فوزه بالمخاطب و هنأ الوزارة على أن حضيت برجل مثله

[1] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي في عصر الطوائف و المرابطين ،دار الشروق ، عمان 1997 ، ص 225 .

[2] محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، ط1 ،دار الفكر المعاصر ، بيروت / دار الفكر دمشق ، ص 228-229.

فقال : ((فليهنئه أن تسربلت طوقه ، و تحملت أوقه ، وليهنئ الوزارة أن شدت بجيدك عراها ، و نيطت بنحرك حُلاها)) .[1]

و قد أهدى ابن خفاجة أيضا لأحد أصدقائه ماء ورد فقال : " وإني وجهت رقعتي هذه خاطبة إلى صفو ودك كريمة من (بنات) ماء وردك وقد سقت إليها الشكر مهراً ، و أنفذت الإناء للزفاف حذرا .

والطوللك في قبول نقد الثناء ، و تعجيلالجلاء و الهداء ، موفقا إن شاء الله "[2]

فقد عُرِفَ الأندلسيون بأحاسيسهم المرهفة ، و ذلك بتبادلهم الهدايا فيما بينهم مما يكشف لنا رقتهم في تعاملهم مع بعضهم البعض ، كما لم تقتصر هداياهم على بعض من الورود و الزهور بل تهادى بعض الأصدقاء نوعاً أخر من الهدايا كالفواكه ، إذ نجد أباعبد الله البزلياني الذي أهدى صديقه تفاحاً مرفقة برقعة

" يقول فيها : لو لم تكن نفسي لك لأهديتها إليك ... لكن لك الإبداء بالفصل و الإعادة ولي الإقتداء و الجري على العادة ، في إهداء الحقير إلى الخطير .... و لي كلفي بشمائلك الشمول و شغفي بخلائقك المعسولة بعثت بما يحكيها و يدانيها ... تفاح قطعت حمرته و صفرته من خجلات الخدود... و ختم على ألذ من سولي النحل و أعذب من جني النخل ..." .

و ممن أهدى التفاح أيضا أبو إسحاق بن خفاجة و قد بعث منه واحدة إلى صديق له مع رقعة يقول فيها " إن أفضل سفير سفر بين صديقين ، و تردد بين عشيقين ، سفير أشبه المحب خفة الروح ، و المحبوب عبق ريح و لما طال – يا سيدي – العهد فأحببت ان أجدده أر أن أجعل رسولي أجشم في إقتضاء سولي مثل حمراء عاطرة ، كأنها دمعة قاطرة أو جمرة تسطلى واقدة أو خمرة تجتلى جامدة ... بعثت بها بين تحية لك و رسول أليك معتقدا أنها ستقبل عندما تقبل و تفدي حين تتصدى فوددت أن أكونها و أحظى بتلك الحال دونها " ، و من الواضح أن ابن خفاجة لم يهدي إلا تفاحة واحدة ، إذ أن التفاحة الواحدة نفسها هي رمز المودة و الإيخاء و هي ذريعة لكتابة الرقعة المرافقة ، فالهدية الحقيقيةُ في الثناءُ و التحية و اللذان يشتملان عليهما الكتاب[3].

ـ وقد تضمنت الرسائل النثرية مواضيع أخرى منها الذم كرسالة الوزير أبي الوليد ابن زيدون على لسان ولادة يذم فيها إبن عبدوس " أما بعد : أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه، العاثر في بيل إغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش

---

[1] علي بن محمد ، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس (مظامينه و أشكاله) ،ج1 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص360.

[2] علي بن محمد ، النثر الأدبي الأندلسي مضامينه أشكاله ، المرجع السابق ، ص 350 .

[3] نفسه ، ص 351- 352 .

في الشهاب ، فإن العجب أكذب و معرفة المرء نفسه أصوب ،وإنك راسلتني مستهديا من صلة ما صفرت منه أيدي أمثالك ، متصديا من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك ، مرسلا خليلتك مرتادة مستعملا عشيقتك قوّادة ، كاذبا نفسك أنك ستنزل عنها إلي و تخلف بعدها عليَّ ... " [1]

و كتب إبن دراج في أسلوب جديد و هو العتاب إذ يقول المنصور في قطعة نثرية معاتبا جنده لتوقفهم عن المحاربة في بعض الغزوات يقول : " و كثيرا ما فرط من قولكم أنكم تجهلون قتال المعاقل و الحصول و تشتاقون ملاقات الفحول ، فحين جاءكم شانجه بالأمنية و قاتلكم بالشريطة و أنكرتم ما عرفتم ، و نافرتم ما ألفتم حتى فررتم اليعافير من آسادة الغيل و أجلفتم إجفال الرئال من المقتنصين ، ولولا رجال منكم رحضوا عنكم العار و حررو رقابكم من الذل لبرئت من جماعتكم و شملت بالموجة كافتكم " .[2]

ومن المواضيع الأخرى في الرسائل النثرية التي كتبها أبو الربيع سليمان بن أحمد القضاعي و خاطب بها يوسف بن حسداي الإسلامي ، حيث طلب منه آلة نجار خدم عنده ، فوجه بها حاشا الميشار و فيها يقول " وقد أنكرت أشد الإنكار، بخلك بالميشار، و أعملت الفكرة في النظر إلى بعض مراميك و البحث عن غموض معانيك ، فلاحت لي درية مرماك ، و أشرفت مطلا على مغزاك ، و حدست بعد تسديد سهام التوهم و رميت عن قسي التفهم ، إن علة ضنانك به من أجل ما مر ببالك ذكر الشجرة التي أشرت و فيها يحي بن زكريا عليه السلام ، فتحرجت أن تخرج من حريمك آلة ،كانت سببا إلى حدث مشؤوم ، بسفك دم نبي كريم " .

فالقضاعي هنا يعرض بإبن حسداي لأنه كان – قبل إسلامه – يهوديا و يمضي في هذا التعريض بقوله إن الخشبة التي كان يريد أن ينشرها ليس فيها يحي ، و إنما فيها الأرضة التي أكلت منسأة سليمان ثم يذكره أن من بخل بالتافه اليسير فقد إرتكب أسوأ بخله ، و ربما تألفت الأضداد و تشتت الأنداد ، وأفادت غير المطلوب

و حالت دون المرغوب: " ألم تر إلى موسى عليه السلام كيف أقبس نار فإقتبس أنوارا ووافد البراجم : كيف شم القتار و أم قدما إلى النار " ثم يتهكم القضاعي بحضوض الكتاب و يسخر ممن يحتلونه المناصب منهم ، و هم غير أهل لها ،فيقول : " وألم تعاين الكتابة – التي أنت قطبها ، و هي أجل الصناعة – ربما عدل بها عن نبلاء المحسنين إلى الدخلاء الأميين ، اللذين لا يعلمون الكتابة إلا أماني "

ج/ في الفكاهة و الدّعابة :

---

[1] إبراهيم الأحدب الطرابلسي ،الوزير إبن زيدون مع ولادة بنت المستكفي ، الهنداوي ، ص 72 .

[2] إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف و المرابطين ، المرجع السابق ،ص 301 .

إن الفكاهة و الدعابة مظهر من مظاهر الإخوانيات ، لا تخلو من الفوائد العلمية و الأدبية ، تعتبر مرآة عاكسة لأحوال المجتمع ، فهي فن تميز به أهل الأندلس منذ القدم ، إذ ساهمت في إصراف الألم و تحرير الإنسان من قسوته ، تقوي الأخلاق و تربط الصلة بين الناس و تجعلهم يحافظون على تقاليدهمو أوضاع مجتمعهم .

ومن فنون الفكاهة الفن الهزلي ، إذ لم يكن نوعا من اللّ هو أواللعب ، بل هو مجهود يبذله االإنسان لكي يصير واعيا من الناحية الفكرية ، يرفع من مستوى السلوكي للإنسان ، للفكاهة أقسام واضحة الإنسجام توافق غايتها التي تؤديها ، منها ما يمثل الذكاء و الحكمة ومنها مايمثل البلاهة و الحماقة فإن النزعة تستند إلى الناحية الجمالية التي هي جانب مشرق في الإنسان ، إذ تحقق له الإعتدال النفسي.

وقد ظهر فن آخر سمي بالفن الرثائي هو جانب من الجوانب الهزلية [1]،وهو غرض من الأغراض التي يقترب فيها الشعراء بعضهم البعض في أعيان الأشخاص المرثيين، فكانت مواضيع الشعراء حول الأهل الأقربين[2] يرثي إبن اللبانة الداني أخت المرتضى :

أبِنتُ الهُدىَ جددتِ صنعاً على صنْعاً مضىَ المرتضاَ أصْلا و إتَبعتهُ فَرعاً جَرىَ الموتُ

جرْيَ الريح فِي منْبَتيكماَ فاَذواك ريْحاناً و كَسره نبعاً [3]إلى جانب رثاء الأهل يوجد كذلك رثاء الأصدقاء نجد إبن زيدون يرثي صديقه القاضي أبي بكر بن دكوان

يقول:

ياَ قبرهُ العَطر الذيِ لا يَبعدن حلو من الفِتيَان فيكَ حلالُ ماَ أنتَ

إلاَ الجَفن أصبَح طيّه نصلّ عليه من الشَباب صقَل وفي المكانة

السياسية يرثي بني الأفطس حكام بطليوس ، و دولتهم يقول عبد المجيد بن عبدون الفهري[4]في هذا السياق :

الدهرُ يفجَعُ بَعد العين بالأثَر فماَ البُكاءُ على الأشباح وَ الصُّور؟ أنهاكَ

أنهاكَ لاَ أنهاكَ واحِدةً عن نومةٍ بينَ ناب الليث و الظَفرِ[5]

---

[1] حسين خربوش ، الفكاهة الاندلسي ، جامعة اليرموك ، مطابع الدستور التجارية ، عمان الأردن ، ص 6- 28 .

[2] محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، ط1 ، دار الفكر المعاصر لبنان /دار الفكر دمشق سوريا ، ص 140 .

[3] محمد مجيد السعيد ، ديوان إبن اللبانة الداني مجموع شعره ، ط2 ، الجامعات العراقية ، دار الراية ، ص 83 .

[4] يكنى بإبن عبدون الفهري أو إبن عبدون البياري أو الأندلسي اليابري من مدينة يابرة إهتم بتحصيله للعلم تتلمذ على يد شيوخه الأعلم الشنتمري عاصم بن أيوب البطليوسي تصدر للوزارة مدح المتوكل عمر بن المظفر أميلر بطليوس توفي سنة 529 هـ وقيل أيضا 520 هـ و أيضا سنة 527 .

[5] محمد رضوان الداية ، في الأدب الأندلسي ، المرجع السابق ، ص 146- 157 .

و ثمة نوع أدبي من الفكاهة ، لم يتطرقوا إليه نظرا لإنحداره عن المستوى الأخلاقي المعهود المتمثل في مسائل غير أخلاقية (العلاقات الجنسية و العمليات الإخراجية) ، فإن هذا النوع من الفكاهة له دلالة نفسية و مضمون أخلاقي .

وقد تميز الفن النثري للفكاهة بكبار كتابه و بنتاج أدبي ثري في هذا الفن يقرب و يربط برباط قوي يجعل منه مجموعات متشابهة و متقاربة ، كمجموعة(المقامة) تتمثل في رسالتي التوابع و الزوابع لإبن الشهيد و الرسالة الهزلية لإبن زيدون[1].

و لم يكن فنُ الفكاهة مقتصراً على الفئات الإجتماعية البسيطة فقط ، بل حتى أن الملوك كانوا يبحثون عن المضحكين على سبيل المثال ، حيث إشتهر شيخا في إشبيلية لِكثرة التنديد و التهكم بحيث حدثت قصة طريفة للمعتمد بن عباد مع هذا الشيخ ، ففي أحد الأيام مر المعتمد مع وزيره إبن عمار على بيت هذا المنكت فقال المعتمد لوزيره:" تعال نضرب على هذا الشيخ الساقط حتى نضحك معه ، فضرب عليه الباب، فقال : من هو ؟ فقال له إبن عباد : إنسان يرغب أن تقود له هذه الفتيلة فقال له: والله لو ضرب إبن عباد بأبي بهذا الوقت ما فتحته فقال : فأنني إبن عباد ، فقال : مصفوع ألف صفعة ، فضحك إبن عباد حتى سقط على الأرض و قال لوزيره : إمضي بنا قبل أن يتعالى القول الفعل " .

لم تنحصر الفكاهة في الواقع الإجتماعي فحسب بل تعدت إلى الواقع السياسي ، و من الفكاهات التي شاعت آنذاك إشاعة موت هشام المعتمد ، أنه عندما أعلن المعتضد بن عباد موت هشام الميتة الثالة فكم قتل ؟ و كم مات ؟ .[2]

د/ في التعازي

تعتبر التعازي من المناسبات الإجتماعية عند أهل الأندلس ، حيث يتوجه المعزي لأهل المتوفي بكلمات تخفف من هولالموصيبة مذكرا إياه بالصبر و الرضى بقضاء الله عز وجل ، إذ يعتبر هذا السلوك من روح المساواة و المشاركة في

[1] نفسه ص 44 .

[2] خميسي بولعراس ، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف 400– 479هـ / 1009 – 1086م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستار في التاريخ الإسلامي ، (مخطوط) ، جامعة باتنة 2006 2007 ، ص 109 ، 110 .

مراسيم الدفن ، لأن أهل الميت تحتاج في مثل هذه المواقف التشجيع على التأقلم و الصبر على ما أصابهم في هذه المحنة التي حلت بهم[1].

وقد تحدث بعض الشعراء عن مكانة المعزي و قد رفعوا من شأنه و هذا من خلال الدور الذي يقوم به لأهل المتوفي من مواساة و التخفيف عنهم يقول إبن حمديس[2] في رثاء مجموعة من النجباء و الفضلاء :

عزاءٌ جميلٌ فِي المصاب فإنكمْ جدالُ الحلومِ بل طوالَع أنجمِ

فدامَ لكمُ فِي العزِّ شَملٌ منظّمٌ وَشَمل الأعادي غَير منظّم [3]

كما يقول السيد محمد البطليوسي في قصيدة عزاء للوزير أبي عيسى بن ليون بعد وفاة أخيه :

للمرءِ فِي أيامِهِ عِبر وَ الصَفو يَحدثُ بعدَ الكَدرُ

خرسَ الزَمانُ لمن تأملهُ نطَقَ ، و خَبر صُروفَه خَبر[4]

و يعزي و يرثي إبن زيدون إبنة المعتضد المتوفاة قبل وفاته بثلاث :

سَركَ الدّهرُ و ساءَ ، فاقْنَ شُكراً و عزاَءَ

كم أفادَ الصّبرُ أجراً ، وَ إقْتَضىَ الشُّكر نمَاء[5]

و لم يكن موضوعُ التعازي مندرجاً عند الشعراء فقط بل تعدى أيضا إلى الأدباء ، وهذا من خلال النثر ، فلم يؤثر الحزن في نفسية الشعراء فقط ، و إنما إجتازت نفسية الأدباء و أحوالهم . يقول الكاتب علي بن محمد في مطلع رسالته : " كتاب و الدمع ينشيء لعين سحائبه ، و الحزن يجهز إلى نفسي كتائبه .."

و مما يشبه هذا التعبير قول الأخر في مثل ظروفه : " كتبت و أنا من الحزن في ثوب حداد ، و دمع كأكفّ الأجواء شوقا و وحشة إلى الأنس بالتفيّؤ ظلك الوارف ..." [6]

---

[1] نضال سالم النوافعة ، الشعر الأجتماعي في الأندلس في عهد الموحدين و المرابطين،، رسالة الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة مؤتة 2004 ، ص 61 .

[2] محمد إبن حمديس الصقلبي : هو شاعر صقلي قضي أكثر أيامه بمصر و المشرق و لأبي العرب الصقلي الذي هاجر إلى لأندلس و له ديوان متداول .(ديوان إبن زيدون ، ص 2)

[3] إحسان عباس ، ديوان إبن حمديس ، دار صادر ،بيروت ، ص 485 .

[4] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهد الموحدين و المرابطين ، المرجع السابق ص62.

[5] يوسف فرحات ، ديوان إبن زيدون ، ط2 ،دار الكتاب العربي ،بيروت ، ص 21 .

[6] علي بن محمد ،النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس ، ج2 ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، ص 488 .

و من المظاهر الإجتماعية التي تؤثر في العلاقات بين الناس هي التعزية ،وهي ركن من أركان التضامن و التكافلفإذا كان الإنسان يشارك أحبابه لحظات السرور كذلك يشاركهم في لحظات الكآبة و الحزن و البؤس فهذه الأوقات هي أحسن مقياس لمعرفة مدى إخلاص الأصدقاء ووفائهم لبعضهم البعض ، فقد كتب أبو عبد الله محمد بن أبي الخصال إلى أحد الوزراء المنكوبين بنكبة الحزن ، " أنبأت بتعذر أوطار ذوي الأخطار ، و أعلنت بكساد الفضل و إستأساد النذل " .

و قد نجزي صاحبه بعد أن أصيب بنكبة قائلاً إبن عبد البّر: " و إتفق لي ما قد علمت من الإنزعاج و الإضطراب ، و التغرب و الإياب لا و الله ما جرى من حركات شيئ على مرادي و اعتقادي و إنما هيأتها الأقدار و الأثار "

وكان إبن عبد البّر بأن مصيبته أقل من مصيبة صديقه ، في ذلك يقول له : " وعلى أن الذي أصابك أثقل عبئا و أعظم رزءا " وقال في أخر الرسالة " والله يعظم أجرك و يجزل ذخرك " لم نجد صيغ تقليدية للتعرية في هذه الرسالة بل كانت التعزية بطريقة غير مباشرة [1]

و قد وجدت مكانة المتوفي عند الناس بالأندلس سواء دينية أو دنيوية ، ما يخفف عنهم أحزانهم فقد عبروا عن المتوفي أنه يزن أمه في إحسانه و فضله وأن كل ماهو ذو مكانة عالية زائلة بزواله ، فإذا كان عالما أو فقيها أو شاعرا يخصص له عزاء خاص و يكون كل الفخر لقبره.[2]

الطقوس الجنائزية : تتمثل في :

طرق الإعلان عن الموت : كان الإعلان عن الموت في الأندلس يتم بثلاث طرق:

أ /طريقة الندبو النواح : كان البكاء و النواح أمرا لاصقا في الكثير من الحاضرات ذكر شريع إبن عبيد أن الميت إذا مات في أرض فغابت عنه بواكيه ، بكت السماء عليه والأرض

و يقول في ذلك :

إنَ الغريب إذاَ ماتَ في حندس بكت النُجومُ علَيه كُل أوان

[1]علي بن محمد ، النثر الأدبي الأندلسي في القرن الخامس(مضامينه و أشكاله) ، ج 1 ، ط 1 ، نفسه ، ص 360 -371 .

[2]أنور يعقوب زمان ، شعر التعازي و القبور ،في الأندلس المحاور و السمات الفنية ،أطروحة دكتوراه في اللغة العربية و آدابها ،جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ، ص228 .

ب/ طريقة لبس البياض : و هي حداد في الإخبار عن الموت و كانت تتميز في الأندلس فقد خالفوا أهل المشرق في لون الحداد إذ لبسوا الأبيض بدلا من الأزرق الذي كان شعار حزن لأهل المشرق ، و وردت هذه الظاهرة في شعر إبن شاطر السرقسطي في قوله :

قَد كنتُ لاَ أدري لأية علّة صار البياضُ لباسُ كلّ مصاب

حتىَ كسانِي الدهر سحقُ ملاءةُ بَيضاء من شيب لفقدِ شبابِي[1]

ج / في المساجد و الاسواق : كانت تتم عن طريق النداء في الجوامع و الأسواق وجدت هده العادة في الأندلس منذ عصر الإمارة و إستمرت عند موت الزاهد أبو وهب عبد الرحمان العباسي بقرطبة قيل عنه لم يبق أحد من أهل قرطبة إلا وسمع عند بابه من يقول :" أشهد في هذا الغد إن شاء الله جنازة الرجل الصالح في مقبرة بني هائل فإذا خرج من الباب لم يجد أحد"[2]

2/العادات و التقاليد :

يتميزكل مجتمع بعادات و تقاليد خاصةبه على بقية المجتمعات الأخرى منها عادات فاضلة كالترحال ، التجارة و العلم ، و السفر و لقاء العلماء و إلتزامهم بالنظافة و ترددهم على الحمامات و كثرة إستخدامهم للعطور و الزينة ، و العادات المتدنية كشرب الخمور و البطالة و الترف و البذخ الذي تميزت به الطبقة الحاكمة لاسيما في اللباس و الأكل والتي سادت في المجتمع الأندلسي.

أ/المصاهرات (الزواج):

المصاهرات : إندمج أفراد الفتح الإسلامي ببلاد الأندلس حيث عاشوا تحت ظل واحد و إيخاء تام ، إختلط بعضهم ببعض و أسلم الكثير من عناصر المجتمع (المسحيين و اليهود) و كان هذا عن طريق المصاهرة .

فمن بين المشجعين على المصاهرة و الزواج المختلط عبد العزيز بن موسى إذ تزوج من إمرأة لذريق إيلونا من جنسية إسبانية حيث سكن معها إشبيليا ولقبت بأم عاصم ، فقد كان زواجه بمثابة الطريق لأتباعه من رجال الفتح أمثال زياد بن النابغة التميمي الذي تزوج هو الآخر و عيسى بن مزاحم تزوج من سارة القوطية بنت المند بن غيطشة ، أما بالنسبة للأمراء لم يكن منهم من كانت أمه حرة الأصل بل كانت أمهاتهم من النصارى الشمال الإسباني أو البرر أو الرقيق الصقلب وعلى سيبل المثال زوجة عبد الرحمان الثانية طروب الجارية الصقلبية كان لها تأثير عليه .

---

[1] خديجة قروعي ،ظواهر إجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس من الفتح الإسلامي إلى نهاية عصر الإمارة (92هـ/ 711م – 316هـ 929م) ، ط1 ، دار النايا /دار المحاكاة ، سورية – دمش ، ص415- 418 .

[2] المرجع نفسه ، ص 419 .

كما تعددت المصاهرات في الأندلس خصوصا بين الأمراء و الملوك كزواج الأمير عبد الله بن محمد من ونقة دانية فرتون بن غريسة .[1]

وكما ذكرت المصادر التاريخية زواج الوزير تمام بن عامر من النصرانية أم وليد بنت خلف الرومان .

وحدثت أيضا مصاهرات عكسية ، زواج الإسبان بالمسلمات على إعتبار أن المولدين مسلمين ، مثال على ذلك مصاهرة أسرة بني قسي (المولدون) مع بني حكام نبرة .

و كان هدف هذه المصاهرات زيادة النفوذ كمصاهرة عثمان بن أبي نعسة مع بوق أو كوتين و ذلك لتنفيذ مشروعه للخروج على الحكومة في الأندلس و لكسب رجال الدولة كمصاهرة الوزير عيسى بن السعيد و محمد بني عامر .[2]

الزواج : من العادات الشائعة في الأندلس تتم بين الرجل و المرأة القائم على الرفض أو القبول فيجوز للمرأة الحق في الرفض و هذه عادة واضحة ، إذ نجد نزهون القلاعي الشاعرة أكدت حقها في الرفض لرجل مشوه تقدم إليها بالرغم من حبه لها ، فقالت في ذلك :

عّذيريٍ من عاَشقٍ أنوكِ سَفيهُ الإشارة وَ المْنزِعِ

يروُم الوصَال بِماَ لَو أنيِ يَروم بهِ الصَفع لَم يُصفَع

برَأس فقيِس إلىَ كيّة و وَجهٍ فَقيرٍ إلى برقعِ

كما كانت هناك شاعرة من اليهود قسمونة بنت إسماعيل اليهودي ، التي رأت أنها قد بلغت أوان الزواج فقالت :

أرىَ رَوض' قَد حاَن منهاٌ طافهاَ و لستُ أرىَ جان يمدّ لهاَ يدا

فوا أسفاَ يَمضي الشَباب مضيّعاً ويَبقى الذي ماَ إن اسميّه مقْردا

فقد كانت عادات الزواج (الإختيار و الخطبة) تشبه ما في باقي البلاد الإسلامية ، تبدأ بمناقشة المهر و بعدها يتفق على تحديد موعد الزفاف ، ثم العرس و كانت من عادات العرس إرتداء العروس أفخم و أزهى الملابس يقول إبن سارة في وصفه للعرائس :

أماّ الرياض فإنّهنّ عرائسٌ لَم يحْتجبن حَذارا عيْن الكالي

جادَ الربيعُ لهاَ بِنقدِ مهورهاَ دفعاً و لم لوزن الكالي

تثني الصّبَ منهاَ أكّفَ زبرجدٍ منضوُمة أطواَقها بلالي[1]

---

[1] خالد حسن الجبالي ، الزواج المختلط المختلط في الأندلس بين المسلمين و الإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس و حتى سقوط الخلافة (92هـ /422هـ) ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص 53،54 .

[2] نفسه ، ص 60 .

ب/ الأطعمة و الأشربة :

يعرف كل مجتمع عن غيره من المجتمعات بأطعمته و أشربته فهو عنصر يكشف أنماط الحياة و السلوك المعيشي للمجتمع الأندلسي ، كما يوضّح الرقي الإجتماعي و التّطور الحضاري .

تفنّن أهل الأندلس بإعداد الكثير من ألوان الطَّعام ، تزينت موائدهم بالأنواع المختلفة من الأطعمة و الأشربة حسب شرائح المجتمع و المستوى المادي لكل فرد ، حرص الأندلسيون على تقديم أطعمة صحية و مرتبة على ثلاث دفعات حسب كل موسم ليس فقط لسد الجوع ، كما تجنبو تقديم الأكل الغليظ و الثقيل لأنه يسبب قعر في المعدة فتعددت أنواع الأطعمة و الأشربة على المائدة الأندلسية منها :

أنواع الأطعمة :

الأسماك : جميع أنواعها الصغيرة و الكبيرة معروفه عند أهل قرطبة و إشبيليا تسمى عندهم بالشابل أو الشولى كما يوجد نوع أخر من الحوت يسمى التفايا الخضراء يكون ذو حجم كبير يقطع و يسلق و الحوت المروج يستعمله أهل سبتة و غرب الأندلس كذلك الحوت المعفر و بيض السمك من الأنواع المستهلك في بلاد الأندلس[2].

اللحومالبيضاء : تنوعت من الدجاج الأبيض ، الإوز ، فراخ الحمام ، الحجلة ، اليمام ، الأفراخ ، كانت من الأطباق السائدة بين أهل الأندلس كانت تستعمل في الشواء مرفقة بالخمر كاشي الدجاج يقوم بتمريغ الدجاج على نار الفحم أو تشوى في القدر.

اللحوم الحمراء :كانت من الأكلات المفضلة للأندلسيين كلحم البقر و الغنم و العجل و الأرنب يقومون بشوائها كطبق صفة العصافير المصنوعة من لحم الغنم و الرائس المقوية للأبدان المكثرة للدم تكون بلحم العجل و الثني والضأن تتميز بذوق خاص يفضلونها الأندلسيين أن تكون كثيرة اللحم ظاهرة الملح و منهم ما يستحسنها أن تكون معتدلة "**في قوى اللحم من سائر الحيوان ما ينفع منه و يضر الإنسان**"

لحم الجدي : معتدل الدم لا يصلح لما يكثر تعبه لا يبالغ من كثرة أكله ، يملأ البدن دما غليظا .**لحم الحمل** : أثقل و أغلظ من لحوم الجداء يتميز بجودة على اللحوم الأخرى.

لحم الماعز: أقل قوة و إغذاء للبدن لا يصلح لأصحاب الأمزجة الباردة .[1]

---

[1] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ،المرجع السابق ، ص22،23 .

[2] مؤلف مجهول ،الطبيخ في المغرب و الأندلس في عهد الموحدين ق7هـ/13م ، نشر في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ،قام بنشره الباحث هيوسي ميراند 1962/1961 ، ص 159، 176 ، 163 ، 177 .

قد ذكر أحد الشعراء :

وَ اللّحمُ معَ شُحومِ وَمعَ طوابق الكَبش الثنِيْ

الخضار : سعى الاندلسي لتوفير غذائه لضمان عيشه ، من بين تلك الأطعمة الخضار التي تعتبر غذاء يتوفر في بيوت الطبقة الغنية و الوسطى و الفقيرة إعتمدت أطباق الأندلسيين على العديد من الخضروات من بينها الكوسة و اليقطينية و الباذنجان بحيث كانت أكثر إستخدام لها .

اليقطين :كانت تحضر به العديد من الوصفات منها طبق (اليقطين بالبن) يحضن بالبن الحامض و الثوم و الزبيب .

الباذنجان :قال عنه إبن رزين " الباذنجان هو الكثير " تحضر به عدة وصفات من بينها(الأزلية) تطبخ على نار بماء و ملح حتي تنضج و تصب عليه المرق و يطبق في الفرن .

الفول :كان أخضرا أو مدمساً حسب ما ذكره بعض الباحثين فقد ذكر على لسان الشاعر أبي قاسم لِب يرد على الوزير عبد الملك بن جهور :

وَ إبنَ جهير قاَلَ قَول الذيِ ماَ أكلهُ القرضيلَ و الفول[2]

المطيبات التي تدخل في طهي الطعام : كانت تحضر المائدة الأندلسية بمكونات مطيبة للطعام ، بحيث لا يستقيم الطعام و المذاق إلا بها و هي التوابل و الأفاوي[3]

ذكر المقري في كتابه فقال : " الأفاوية خمسة و عشرون صنفا في الأندلس منها السنبل و القرنفل و الصندل و القرفة و قصب الذريرة و غيرها ..."[4]

كما أشار كتاب الطبيخ يجب أن نهتم بمعرفة الأشياء المنكهة التي يكمل بها الطبخ فيسمى الطبخ طبيخا ، و أن التوابل هي أساس الطبخ تدفع الضرر و تطيب الطعام.

---

[1] أبي محمد المظفرين نصر بن صيار الوراق ،كتاب الطبيخ و إصلاح الأغذية المأكولات و طيبات الأطعمة المصنوعات ، تح إحسان ذ النون الثامري ، محمد عبد الله القداحات ، تق إبراهيم شبوح ، ص 39 .

[2] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية و إسلامية ، المرجع السابق ، ص 358، 359 .

[3] هوارية مروان ، ملكية بلعيد ، لمائدة الأندلسية في عهدي الإمارة و الخلافة الأموية ،مذكرة ماجستير تاريخ الغرب الإسلامي ، جامعة وهران ، 2020 ، 43، 44 .

[4] المقري التلمساني ، نفح الطيب ، ج1 ، المق (1041هـ/1631م)،تح أحسان عباس ،دار الصادر ، بيروت ، ص 199.

و من التوابل الأكثر إستخداما في أطباق الأندلسيين كالكزبرة اليابسة تدخل في جميع أنواع الطعام ، الكمون يستعمل في جميع ما يقلى من طير و غيره من اللحوم ، الكاراوية تطيب الطعام لابد منها أن تكون في أنواع الطعام كاالمحشي .

الزعفران و غيرها من التوابل .[1]

الفواكه :

تنوعت أرض الأندلس بالعديد من الفواكه يوجد في سواحلها قصب السكر و اللوز و المعدومان في الأقاليم الباردة أسعد الله بلادها بأنواع الفواكه إلا التمر كان يعدم بها ومن أنواع الفواكه التي كانت غير متوفرة او قليلة عند غيرها كالتين القوطي و الشعري بإشبيليا ، كما قال إبن السعيد : وهذان صنفان لم تمر عيني و لم أذق لهما منذ خرجت من الأندلس لا يفضلهما ، و كذلك التين المالقي و الزبيب المنكبي والزبيب العسلي و الرمان السفري و الخوخ و الجوز و اللوز و غير ذلك مما يطول ذكره .[2]

الفواكه الرطبة : الرمان الحامض ، الرمان الحلو التفاح الحامض الريباس الحرصم ، الإجاص الأسود ، الموز ، التفاح الشامي ، البطيخ المشمش ، [3]

الخبز :من الأكلات المعروفة بشكل يومي في مائدة الأندلسيين و التي لا يمكن الإستغناء عنها ترافق جميع الأطعمة نجد (الخبز) بإعتباره وجبة أساسية ذات قيمة عالية .

الخبز المطبوخ في الفرن :يوضع في الخميرة و يعجن بالماء قيلا يغطى بجلد الضأن و عندما يختمر يطهى في الفرن

خبز التنور : يسعمل فيه السميد و يعجن و يبل و يختمر بعد ذلك توقد النار في التنور ، و يخبز أقراصا و ينضج داخل التنور

خبز الملة :يعجن و يختمر و توضع الملة على النار و يوضع الخبز واحدة بعد الأخرى .[4]

الأشربة :بعد تنوع و إختلاف الأطعمة على المائدة الأندلسية كذلك الأشربة تعددت أنواعها وأذواقها وكانت أغذية الأندلسيين ترفقها مجموعة من الأشربة .

---

[1] مِألف مجهول ، الطبيخ ،نفس المصدر ، ص 66-79 .

[2] المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ، المصدر الصابق ، ص 200 .

[3] أبي محمد المظفر بن نصر بن سيار الوراق ، الطبيخ و إصلاح الأغذية ، ، السابق ص 29.

[4] هوارية مروان ،كريمة بالعيد ، المائدة الأندلسية ، المرجع السابق ، ص 34 .

أنواع الأشربة :تتمثل أشربت الأندلسيين بعدة أنواع منها :

شراب العسل : يتكون من القرفة و الزنجبيل و القرنفل و العسل ، **شراب الصندل**: يؤخد من الصندل الأحمر و الأبيض ، **شراب النعنع** : يؤخذ من النعنع و حبق الترنج .[1]

أنواع الأنبذة : بالرغم من الفوائد الكبيرة للاشربة إلا أن أهل الأندلس فضلو البعض من أنواع الأنبذة نذكر منها **نبيذ التمر و الدابي** :يستخدم من التمر الحديث الجيد الغير القديم ، **نبيذ عنب الشمس** : يعصر بمعصرة و يخرج منه ماء العنب . **نبيذ زبيبي** :يتكون من الزبيب ثم يضاف إليه عسل النحل بدون رغوة ، و العديد من الأنبذة .

قال الشاعر :

نَبيذاَ إذا مرَ الذُبابَ بَدنهِ تَقطرُ أوَ خر الذُبابَ وقِيذاَ [2]

الموائد : عكست مائدة الطعام الأندلسية صورة لواقع الحياة الإجتماعية و مدا تفنن و رقي الأندلسيون في تحضير مختلف أنواع الأطعمة و المخبوزات و الأشربة و هذا بحسب مستوى كل شريحة من المجتمع فنجد مائدة الطبقة الميسورة تعتمد على اللحوم الحمراء و البيضاء ،أما الطبقة المتوسطةإرتبطت بها بعض المأكولات كالكسكس و الخبز و البيض المشقوق وغيرها .. أما الأسرة الفقيرة فكانت تستهلك الخبز المصنوع من القمح الصلب أو الشعير و الفواكه البرية و الأعشاب الطبية و لا نجد على موائدهم الأطباق المتكونة من اللحوم ألا في المناسبات كعيد الأضحى و عاشوراء .[3]

ج/ الألبسة و الرينة و العطور :

الألبسة : تعتبر الملابس جانبا من جوانب التنوع الحضاري ، فهي المرآة العاكس للمجتمع الأندلسي وهذا من خلال إرتباطها بالعادات و التقاليد إذ تتنوع حسب الفئات الإجتماعية والتي كانت متعددة منهم(العرب ، البربر ، اليهود ، و الإسبان)

---

[1] مألف مجهول ، الطبيخ في المغرب و الأندس ،ص 224 -226 - 236 .

[2] خديجة قروعي ، مظاهر إجتماعية مسيحية و إسلامية ، المرجع السابق ، ص 381 .

[3] هوارية مروان ، كريمة بالعيد ، المائدة الأندلسية ، المرجع السابق ، ص 31،32 .

عُرِفَ أهل الأندلس سواء (المرأة أو الرجل)بالإهتمام بمظاهرهم و الظهور بكامل أناقتهم ، فقد اختلفت أزياؤهم من غرب الأندلس وشرقها و هذا راجع إلى إختلاف الطبقات في المجتمع إذ كانت تصنع إما من القطن أو الكتان أو الحرير[1]

ملابس المرأة :

عرفت المرأة الاندلسية بإظهار أناقتها من خلال الملابس التي كانت تناسب قوامها وأنوثتها كما وصفها إدريس إبن اليماني:

سِرتُ في قِميصِ الصُبحِ وهُو جَسِيد فَأبْلَت قَميصَ اللَيل وَ هُو جديد

وقد تفنن في خياطة اثوابهن حيث ذكر إبن زيدون :

علَى خَصْرهاَ فِيهِ وِشاَح مُفَصَل فِي رأسِهاَ تَاج وَفِي جَيْدهاَ صَمد [2]

وقد تعددت أنواع ملابس النساء في الأندلس فمنها من صنعت من الحرير و الأقمشة المرصعة بالذهب الخالص خاصة لنساء ذات المستوى المادي المرتفع وقد إتخذن الملابس لإضهار جمالهن و أناقتهن فقد خصصت الأندلسيات ملابسهن حسب الفصول ، الملابس الثقيلة المصنوعة من الصوف لفصل الشتاء أما الخفيفة المصنوعة من الحرير و القطن و الكتان لفصل الصيف . يقول ابن خلدون " في صناعة الحياكة و الخياطة أعلم ان المعتدلين من البشر في المعنى الإنسانية لابد لهم من الفكر في الدفئ والوقاية من الحر و البرد ولا بد لذلكمن لجام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا و هو النسيج و الحياكة فان كانوا باديةاقتصرو عليه أن قالو إلى الحضارة فصلو تلك المنسوجة قطع يقدرون منها ثوبا على البدن بشكله و تعدد أعظائه وإختلاف نواحيها ثم يلائمون تلك القطع بالوسائل حتى تصير ثوبا واحدا على البدن يلبسونه الصنعة المحصلة لهذه الملائمة هي الخياطة "[3]

كما كان يلبسن في أقدامهن الجوارب والأخفاف و النعال التي تحدث صوتا أثناء المشي تجذب إنتباه الرجال و هذا ما دفع بيحيى إبن عمر (محتسب القيروان) على القول بأنه يجب منع النساء من لبس الخفاف و السرارة ومن

---

[1] وليد محمد علي قايم ، مجلة كلية التربية ، مدينة دانية في بلاد الأندلس و أوضاعها الإقتصادية و الإجتماعية من ق5هـ حتى أواخر القرن 7هـ ،جامعة واسط القادسية / كلية التربية ، العدد 37 ، ج 3 ، ص261 .

[2] عمر إبراهيم توفيق ، صورة المجتمع الأندلسي في ق 5 هـ ،السابق ، ص 123-124 .

[3] بثينة جبار الجازي الغري ، ملابس و زينة النساء خلال عصري الإمارة و الخلافة الأموية في الأندلس 132م 422هـ ، كلية البنات ، جامعة المستنصرية ، ص 215 .

أسماء المذكورة و المعروفة هي الجبة عبارة عن ثوب فضفاض مستطيل يصنع من القماش ، ذي الوان مختلفة غالبا ما تكون مصنوعة من الصوف و التي كانت من ثياب الطبقة الثرية

أما الدراعة : فكانت ثوب يصنع من الكتان او القطن تلبس في الصيف

والغفارة : لباس يغطي العنق و القفا تعمل من الصوف و الخز

والمحشو هو عبارة عن عباءة مبطنة بالفراء عكس عباءة الفقراء كانت مبطنة بالقطن

فقد عرفت نساء الأندلس بلبسهن للحجاب الذي فرضه الدين الاسلامي عليهن ونستدل على ذلك من كلام ابن حزم حين أطلق على الحرائر من النساء "ربات الخدور المحجوبات من اهل البيوتات " و كان حجاب الحرائر الأندلسيات أشد و أعنف من أهل المشارقة و كان الغرض من هدا الحجاب هو التحاشي في الوقوع في المعصية و لم يقتصر على ذلك فقط بل نجده حتى بالنسبة للمهن التي زاولتها المرأة و قد إختلفت كليا عن المهن التي زاولها الرجال أي كانت في خدمة النساء كالخبازة و الطباخة و الطبيبة و الرقامة...الخ ، فإن هذه الفئة من النساء المحجبات كانت تُدخل السرور في قلوب الشيوخ والتقاة .[1]

وصف المؤرخ الوزير ابن الخطيب الغرناطي متعاطفا وفخوراً و متباهيا و متحديا القيم العربية ليقول "هكذا نساؤنا و نحن نرغب ان نشاهدهن اجمل من نساء الاسبانيات متحدين المراة المشرقية بالحجاب و الخمار على الوجه ولا يرى منها سوى العيون وهي قطعة من العباءة السوداء كي لا يعرفها وينظر اليها الرجال ويكشف جمالها و اصلها و أنوثتها" .[2]

الخيمار:هو كل ما يغطي رأس المرأة غالبا ما يكون من شقاق الحرير.

إن ملابس الأندلسيات تحمل طابع الأناقة و الفخامة و الترف خاصة الطبقة الراقية ،[3] فنجد هناك أقمشة فاخرة تستورد من غنائم الحرب في أكبر مركز للتجارة في شبه الجزيرة الإيبيرية [4]. تصنع بحلل راقية ذات ألوان زاهية أستخدمت فيها أهم سبل التميز ، مزينة بزخارف و كتابات أو نقوش إسلامية و عربية سميت بالمصبغات و المذهبات و الديباجيات [5].

---

[1] خالد حسن الجبالي ،الزواج المختلط في الأندلس بين المسحيين و الإسبان ، السابق ، ص 40

[2] كريم محمد هاتف ، مجلة كلية البنات ، المرأة الاندلسية ، العادات و التقاليد و التحدي و التغيير ، مجلد 29 ،20018 ، ص2760 .

[3] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هـ/ 755-1030م، ،ط1 ، السابق ،ص 298

[4] روائعأ ندلسية إسلامية ، ط1 ، تر: صبري التهامي ، تق: صبري تهامي ، دار المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، 2004 ،ص366،365.

[5] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسيفي العصر الأموي (138-422/755-1030م)، المرجع السابق ، ص 298

ملابس الرجل :تنوعت أزياء الرجل في بلاد الأندلس و كانت محط أنظار المألفين فقد تحدثو عن بعض الأزياء نذكر منها : الجبة ، الملف ، الدراعة ، و السروال ، و الغفارة ، و المحشو ، كما ذكر الونشريسي من ثيلبهم ثوب الرومي كان يلبس في الشتاء ليقي من البرد يسمى (الدرندين) وصفه الونشريسي في كتابه المعيار بأنه لباس مقتصد لا إسراف فيه ، ينتفع به الرجل في الوقايو من برد الشتاء القارس [1]

لباس الرأس :خصص الأندلسيون عدة ألبسة متنوعة منها :

العمائم: عرفت العمائم منذ القدم بأنها تجان العرب ، كما يقال : " إختصت العرب من بين الأمم بأربع : العمائم تيجانها ،و الدروع حيطانها ، و السيوف سيجانها ، و الشعر ديوانها "[2]، إشتهرأهلالغرب الأندلسي بلبس العمامة إذ لا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا إليه إلا وهو بعمامة ، بحيث تختلف عمامة أهل المغرب عن المشرق ، و غير مسموح لليهود بالتعمم ، كان لونها يندرج بين الأحمر الأخضر ، بينما خصص اللون الأصفر لليهود [3] ، فهي من معتمدات الشريعة الإسلاميةو الصلاة بها خير من الصلاة بغيرها ، وقد كانت من بين الهدايا التي هداها أبو صالح أيوب بن سليمان لإبن عبد ربه عندما نظم فيه شعر.

القلانس :القلنسوة :إشتقت من الكلمة الفارسية "كلا " تعرف بالشاشية هي كل ما يغطى الرأس تصنع من الخزي أو الصوف أو الفراء [4]كالإمام محمد بن بشير الذي كان يصلي الجمعة بالناس في جامع قرطبة [5]

لباس البدن : البرنس : تعددت صيغه البرنوس و يؤنث ،البرنوسة ، البرنوص و بلأمازيغية أبرنوز[6] وقد عرف بين البربر البرانس الذين تعودو على لبسه في بلادهم ، و يبدو أنهم نقلوه إلى الأندلس و إنتشر بها[7] . و إستمر هذا الزي في الأندلس خلال فترات متلاحقة كان المنصور بن أبي عامر يلبسه في الغزوات

---

[1] كمال السيد أبو مصطفى جوانب من الحياة الإجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتاوى المعيار المعرب للونشريسي ،كلية التربية ، جلمعة الإسكندرية ، 1996، ص 47 ، 48 .

[2] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 297، 298 .

[3] المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ، المصدرالسابق ، ص222، 223 .

[4] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية و إسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 300-304

[5] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي ، المرجع السابق ، ص 296 .

[6] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية ، المرجع السابق ، ص 308 .

[7] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هـ/755-1030م، المرجع السابق ، ص 296.

السروال : هو لفظ إشتق من الفارسية "شلوار " و يعني ثوبا مريحا فضفاضا يغطي البدن حتى أسفل القدم [1]

الحلة :هي ثوب يتكون من قطعتين الرداء و الإيزار تصنع من الكتان أو القطن أو الديباج أو من الحرير الموشى بالخيوط الذهبية .

كانت هناك ملابس متنوعة فاخرة كالوشي اليوسفى أو الوشي الهشامى لا يلبسها إلا أصحاب المكانة المرموقة كالخلفاء و القضاء و العلماء و الأمراء كما ذكر الوشي للهاشمي في قصيدة الشاعر سعيد بن مؤمن فن وصف منية فنتيش :

ولأبسةٌ وشياً كأن رقيِقه رقيقٌ الهشامى العَتيق المنضَد[2]

أشتهرت الأندلس بالتأنق وهذا يعود لشهرةالمدينة بالصناعات النسيجية منها ألبسة الحرير ، الكتان ، القطن خاصة مدينة " مرية " .[3]

الزينة :

إتخذت المرأة الأندلسية عدة وسائل لإبراز جمالها منها القراط و الخلاخل كما كانت تسدل خمارها على وجهها وتقف أمام المرآة تتامل محاسنها [4]

فلها عدة جوانب لكشف انوثتها كلخفة في المشي وكشف الشعر المترسل على الاكتاف و التفنن بالكلام الناعم و التفاخر بالزينة كالحلي و الاصباغ اذ يقول ابن الخطيب الغرناطي "وقد بلغت من التفنن في الزنا لهذا العهد و المظاهرة بين المصبغات و التنافس الذهيبات و الدباجات والتماحن في اشكال الحلي الى غاية بعيدة [5]

و يقول إبن الأبار كذلك في نفس السياق:

تَناوَلت المرأة وَهي صَقلَبية تَأمَل وَجهَها دوُنه ذَلك الصَقل

فلَما تَنَاهَت أودَعُتهاَ عَشاَءَهاَ وَقد حَدثَ الِقرطَان وَ اسْتمعَ الجَمل

---

[1] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية ، المرجع السابق ، ص 312، 313 .

[2] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138- 422هـ / 755- 1030م)، المرجع السابق ، ص 297 ، 298 .

[3] ربيع رقي ،مدينة المرية المرية في عصر المرابطين دراسة إجتماعية و إقتصادية ، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط ، جامعة الجزائر 2 ،قسم التاريخ ، ص 101 .

[4] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و المحدين ، المرجع السابق ، ص 41 .

[5] أريج كريم محمد هاتف ، مجلة كلية التربية للبنات ، المرأة الأندلسية العادات و التقاليد و التحدي و التغيير ، مجلد 29 ص 2760 .

فَشَبهْتهَا بدرًا علاهُ خسُوفه فأَظلَم مِنه مَا أَثارَ لهُ قْبل[1]

تمتعت نساء الأندلس بالنظافة و الأناقة في أجسامهن و ملابسهن حيث إستعملن أنواعا من الزينة و العطور كالطيب و المسك و العنبر و الزعفران و البخور أما الجانب الأخر للزينة كالحلي متعدد الأنواع مصنوع من الذهب و الفظة والاحجار الكريمة ، يتكون من أساور و الخواتم و الأقراط و العقود يقول ابن الخطيب واصفا حلي النساء "وحليهم في القلائد و الدمالج و الشنوف و الخلاخل و الذهب الخالص "

بلغ درجة كبيرة فن الخضاب الذي تفننو فيه نساء الاندلس[2] فقد اتخذوه لتلوين شعورهن وأيديهن و أضافرهن يقول ابن خفاجة :

يَرمِي بِه الأمَل القصِي فَينثنِي مَخضُوبَ رَاء الضُفر وَ المِنْقارَ [3]

كما عرفت الأندلسيات بذوق عال في فن الوشم كانت تنقش خدها بلوشم لتبدو أكثر جمالا[4] وقد تزينت المرأة بلحناء فقد لمح الونشريسي بأن المرأة كانت تستعمل الحنة الحمراء و الصفراء لتخضيب الشعر الأبيض [5]

لم يكن التزيين للنساء فقط و إنما يوجد للرجل أيضا زينة خاصة به كالخضاب بالحناء و الكتم و الكحل [6]

و من بين القضاة الذين إستعملو الخضاب محمد بن بشير ، إذ كان يخرج إلى القضاء و أثر الحناء في يديه .

و إستمرت ضاهرة تخضيب الشعر و اللحية في الأندلس إلى ما بعد فترة الإمارة ، و قد تفنن الأندلسيون في إختيار المواد التي تستعمل في التخضيب بالإضافة إلى الحناء أستعمل بعضهم قشور الرمان و في هذا الشأن أورد المقري أن عبد الجبار الطرطوشي خضب شعره"كان يخضب بسواد الرمان ، يخضب بأقبح سواد خضب فيه"[7]

---

[1] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهدي المرابطين و الموحدين ، المرجع السابق ،ص 41 .

[2] أريج كريم محمد هاتف ، مجلة كلية البنات ، المرجع السابق ، ص 222 .

[3] نضال سالم النوافعة ، نفس المرجع ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهدي المرابطين و الموحدين ، ص 40-41 .

[4] أريج كريم محمد هاتف ، مجلة ،كلية البنات ، نفس المرجع ص 222 .

[5] كمال السيد أبو مصطفى ، جوانب من الحياة الجتماعية و الإقتصادية و الدينية و العلمية من خلال النوازل و الفتاوى (المعيار المغرب للونشريسي) ، ص 49 .

[6] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هـ/755-1030م ، المرجع السابق ،ص298

[7] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية ،المرجع السابق ، ص 329 .

العطور :

كان للعطور و الطيب مكانة مهمة في التراث الحضاري الإسلامي ، بحيث يحث الدين الإسلامي على النظافة و الجمال و جعل التطيب بالعطور إحدى أمتعت الحياة ، قال الرسول صلى الله عليه و سلم **"ما أحببت مندنياكم هذه إلا النساء و الطيب "** و يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه **" لو كنت تاجرا لما إخترت على العطر شيئا إن فاتني ربح لم يفتني ربح "**، وقد توافرت في أرض الأندلس أنواع عديدة من العطور للنساء و الرجال ومن بين هذه المواد المعطرة عود الألونج أما النبات التي تستخرج منها العطور نجد الخزامامة ، الريحان ، المردقوش ، الرازيانج وقد علمزرياب الأندلسيون إستعمال المترك المصنوع من المرداسنج لطرد الصنان من مغابنهم كما إستعملو أيضا المسك[1] ، و تطيب الرجال بالعنبر و" الغالية"[2]

و قد عملت الجواري و الأسيرات من المسلمات على نقل هذه العطور و الطيوب إلى الممالك الإسبانية المسيحية تحكي لنا أوراكة إبنة الفونسو عن زائدة زوجة المعتمد بن العباد فتقول :" و جاءت بالعطور الزكية الرائحة تدغدغ الأنف " و يرى الأندلسيون بفائدة الطيوب الصحية إذ يذكر أبي مروان عبد الملك بن زهر : " تقوي الدماغ و الحواس و تنفع الأعضاء بخاصية فيها ".[3]

النظافة و الحمامات :

عرف الأندلسيون بالتأنق و التجمل و بحبهم الشديد للنظافة يقول المقري: " و أهل الأندلس أشد خلق الله إعتناء بالنظافة مايلبسون و ما يفرشون و غير ذلك ممّا يتعلّق بهم ، و فيهم من لا يكون عنده إلا ما بقوته يومه، فيطويه صائما و يبتاع صابونا يغسل به ثيابه ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها "[4]

فقد إنتشرت الحمامات في الأندلس و أصبحت مظهر من مظاهر الحضارة ،إذ يذكر القلقشندي أن أول من إتخد الحمام سليمان عليه السلام ، صنعها له الجن ، و قد جاء الإسلام ليأكد دعوته للنظافة .

---

[1] المرجع نفسه ، ص 330-332 .

[2]"غالية " أول من سمي غالية بالغالية معاوية بن أبي سفيان ، سماها من عبد الله بن جعفر فوصفا له فقال إنها غالية (المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138- 422هـ/755-1030م ، حسين يوسف دويدار ، المرجع السابق ، ص298)

[3]نفسه ، ص 332 ، 333 .

[4] المقري التلمساني ، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، ج 1 ، المصدر السابق ، ص 223 .

وقد كان المجتمع الأندلسي متدينا شديد التمسك بامبادئالإسلام فقد عمل أفراده على تطبيق دعوة الرسول صلى الله عليه و سلم للنظافة فأنشؤوا مجموعة من الحمامات في كل المدن الأندلسية [1] وقد ذكرت في قصائد الشعراء ووصفت بحسن تنسيقها و نعيمها يقول أبو بكر بن بقي :

حَماماً فيِه فَصلُ القيط يُحتدم وفيِه للبرد سرٌ غير ذيِ ضررٍ

ضِدان يَنعم جسم المرْء بَينهماَ كالغُصن ينعم بَين الشَمس و المطرْ

و قد كانت حماماتهم مكتظة ليس فيه مجال للقعود نظرا لإقبال الناس عليها يقول إبن حمديس :

وَحمامُ سوء و خيِم الهَواء قَليل الميَاه كثرَ الزحام

فَما للقيَام قعود بِه وَلا للقعُود بِه من قيام [2]

المآتم و الجنائز

المآتم :

الموت حقيقة حتمية لا مفر منها فهي مصيبة يتحملها أهل الميت ، قد رسم الإسلام الطريق السوي للناس لعلهم يسيرون فيه ، فينالهم الثواب و العزاء و تتنزل بوتاهم الرحمة و حسن الجزاء .

يعترف الإنسان بالحزن عند وفاة شخص ما و يباح البكاء عنه فإن البكاء من وسائل تخفيف عن المصاب ،

و قد بكى الرسول صلى اللهعليه و سلم عند موت إبنه إبراهيم .

و بالرغم من الحب الشديد للحياة و ملذات الدنيا من قبل الإنسان الأندلسي و مع ذلك كان يستسلم لمشيئة القضاء والقدر فقد إهتم الأندلسيون منذ دخولها أرض إسبانيا بالمآتم و الطقوس المستعملة فيه [3]

كان المسلمو يقيمون المآتم على موتاهم في إتباع الشريعة الإسلامية خاصة منطقة الغرب الإسلامي كانت تقوم ببناء المقابر و إعداد المآتم على أرواح أمواتها منذ الفتوحات الإسلامية و هذه من العادات المرتبطة بالموت

وكانت جنازات و مآتم الأولياء الصالحين في المجتمع الأندلسي الإسلامي تكون خاصة كثيرة الحشود فقد كانو يجهزون أنفسهم لملاقاة خالقهم لأنهم كانوا على يقين من إقتراب موتهم ومن العادات التي كانت لديهم وصية الميت وهي شراء المصاريف لإقامة جنازة ومأتم جيد من مال الميت.[4]

---

[1] خديجة قروعي ، ظواهر أجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ص322 .

[2] عمر إبراهيم توفيق ، صورة المجتمع الأندلسي في ق 5ه ، المرجع السابق ، ص 153 .

[3] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية إسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 410

[4] مؤلف مجهول ، الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين ، ص 145 .

فقد عبر الأعمى التطيلي رثاء بعض النساء إذ يقول :

وَسِل عَن الناسِ هل صاروُا مصيرَهم فماَ أضنُكَ ممنْ يَجهلُ الخَبراَ

قَضيْتُ حاجةُ نفسيٍ غَيرَ مشكلةٌ فِي الموتِ لم أقْض من علمٍ بهاَ وَطراَ [1]

الجنائز :

أعتبر الموت حدثا إجتماعيا هامًا ، ومع أنه حدث مألم إلّا أنه لم يخل من الإحتفالات وقد إرتبط بالكثير من العادات التي تشابهة عند المسلمين في شتى بقاع المعمورة ، بحيث يبدأ بالقيام بهذه العادات حتى قبل الموت و هذا ما نجد عند الأولياء الصالحين خاصة ، ومن بين هذه العادات بناء المقابر أو التحضير لإستقبال الموتى و هذا ما تنصح به الشريعة الإسلامية بالإسراع بالدفن و إكراما للميت ، و كان بناء المقابر منذ الفتوحات الإسلامية وكانت تقام خارج المدينة و بجوار أبوابها وقد خصصت بعض المقابر لإستقبال الوجهاء و الأعيان من رجال الدولة و الخلفاء و أفراد أسرهم دون سواهم[2] في حين نجد مقابر أخرى تظم فيها جميع طبقات المجتمع نذكر ممنها مقبرتان بمرية خارج أصوار الرضين التي دفن فيها الكثير من المشاهير إضافة إلى بعض من قدم المدينة و قطنها عند عبوره[3] ، و نجد رجال المتصوفة هم الذين يقومون بحفر قبورهم أو يتركوا وصية يحددون فيها الشخص الذي يقوم بحفر قبرهم

و من العادات التي إرتبطت بالموت إقدام الكثيرين على ترك وصية لأقربائهم و تضمت هذه الوصايا أمور عدة من بينها تحديد المكان الذي يدفن فيه ، أو المكان الذي يصلى فيه عليه أو بمن يغسله إذ أوصى أبو محمد عبد الله المليجي أن يغسله عبد الجليل ، وقد عمل الكثير من الأولياء الصالحين على التجهز لملاقات خالقهم ، فيقومون بالإغتسان و التزن و التطيب قبل موتهم و توصيت الناس بالتقوى و غيرها من الأعمال الصالحة و كانت جنازات الأولياء الصالحين كثيرة الحشود ،و كذلك أهل العلم الأفاضل وقد دفنو في مقابر خاصة كالطبيب بن زهر بحيث دفن في روضت الأمراء بمراكش ، وكانت جنازته مشهدا عظيما

و من تلك العادات أيضا إقدام النسوة على البكاء وندب و لطم خدودهم و الصراخ على الميت كاشفاة الوجه لذلك طولب بمنعهن [4]، كما عرف عن الأندلسيين لبسهمللأبيض تعبيرا عن حزنهم عكس المشارقة الذين يلبسون الأسود و هذه العادة كانت لأهل مدينة المرية خاصة [1].

---

[1] الأعمى التطيلي ، ديوان الأعمى التطيلي ، ط1 ، السابق ، ص 72.

[2] مؤلف مجهول ،الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد المحدين ، ص 145 .

[3] ربيع رقي ، مدينة المرية في عصر المرابطين دراسة إجتماعية و إقتصادية 484-542هـ /1091- 1148م ، المرجع السابق ، ص 101 .

[4] مؤلف مجهول ،الحياة الإجتماعية في الغرب الإسلامي في عهد الموحدين ، المرجع السابق ، ص 146،147 .

كتب إبن الأبار قصيدة شعرية للفاضل أبي عبد الله بن قاسم يعزيه في أمه

سَقى الله قَبراً أودِعَ البرّ و التُقى كَماَ تودّع الأزهارُ طيّ الكمائِمِ [2]

الإحتفالات و التسلية :

عرف الأندلسيون بتمسكهم للعادات و التقاليد و بحبهم للأعياد و الإحتفالات و مظاهر الفرح بالرغم من تعرضهم للحروب .

أ/ الأعياد و المناسبات:

تنوعت الأعياد و المناسبات بالأندلس فهناك أعياد دينية بحكم أن الأندلس دولة إسلامية شاركت العالم الإسلامي في هذه الأعياد مثل :

عيد الفطر: وهو أول عيد إبتدئ به و ذلك في سنة 2هـ حيث حرس المسلمون على الإحتفال به لمدة ثلاثة أيام الأولى من شوال.

عيد الأضحى : هو مناسبة لشراء الأضحية و لوازم أخرى كالعطور و كانت فيه عدة تكاليف إذ لم يكن للبعض مقدرة شراء الأضحية ، وقد عبروا عن وضعيتهم في المثل الذي يقول : "سليخة دم ، وزيل الهم" كما ذكر الشاعر إبن عبد ربه : "ذاقت بي الحال في بعض الأعياد فوقع ظني على أبي صالحفصنعت فيه أبيات و قصدته بها " [3].

عيد المولد النبوي الشريف :كان الأندلسيون يتسابقون لإقامت مراسيم إحتفال المولد النبوي في كل ناحية تزين المساجد و الجوامع و تقوم فيها شعائر الدين الحنيف حيث يحشر فيها الناس و يفرش زرابي مبثوثة ووسائد بالذهب مغشاة و شمع كالأسطوانات و موائد كالهالات ومدائح دينية بغنشاد جميل الصوت وزيارة الديار المقدسة[4].

عيد عاشوراء : حرصو على إحيائه و ذلك في اليوم العاشر من محرم وقد كتب عبد الملك بن حبيب أبيات لليلة عاشوراء إلى الأمير عبد الرحمان بن الحكم يقول :

لا تَنْس لاَ ينْسَك الرحمَان عاشوُراء واذْكر لاَ زالت فِي الأخبار مذكورة

---

[1] ربيع رقي ، مدينة مرية في عصر المرابطيندراسة إجتماعية و إقتصادية ، 484- 542 هـ /1091- 1184م ، المرجع السابق ، ص101 .

[2] أبي عبد الله محمد إبن الأبار القضاعي البلنسي ، ديوان الأبار ، السابق ، ص 299 .

[3] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحة وإسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ص395،394

[4] محمد جمال الدين ،إحتفالات المولد النبوية في الأشعار الأندلسية و المغربية و المهجرية ،ج2 ، ط1، بغداد،ص20-22 .

منْ باتَ فِي ليل عاشوراء ا سعة يَكِن بعيِشة فِي الحول محبورةُ[1]

وقد شارك الأندلسيون إخوانهم المسحيين في أعيادهم فقد إحتفل النصارى بعيد القديس الذي يسميه العرب بعيد العنصرة فقد كان أهل المشرق الإسلامي بينهم و بين المسحيين مودة و علاقة محبة ، فقد شاركوهم أعيادهم كعيد القيامة المعروب بعيد الفصح و عيد الميلاد الجيد إذ كانت للمسلمين نظرة إحترام للمسيح .

ومن الأعياد التي كان يحتفل بها الأندلسيون **عيد العصير**:وهو عبارة عن جني محصول العنب و عصره فكان الأهالي يذهبون إلى حقول الكرم يجمعون محاصيل العنب ثم يحتفلون في أجواء تسودها المرح و الغناء و الرقص ومن العادات الشائعة لأهل الأندلس الإحتفال بأعيادهم و إنتصاراتهم كالزواج ، و الختان ، بوسائل مختلفة : كالغناء و ألعاب الفروسية و سباق الخيل و مصارعة الوحوش ، كما كانت تجرى الإحتفالات في الأعياد بخروج موكب الأمير إلى المسجد لصلاة الجمعة كذلك خروج النساء للتفرج في أيام الأعياد و يذهمن إلى ساحة الشريعة أو المصلى للصلاة .[2]

ب/ مجالس اللّهو و الغناء و المتعة :

عاش الأندلسيون حياة متنوعة بالترف و الموسيقى، خاصةً أصحاب الطبقة العليا ، وقد إنقسمت الحياة المترفة إلى قسمين منهم من كان شغله الشاغل العمل الجاد و النافع كالعبادة و طلب العلم و منهم من كان ينشغل بألوان مختلفة من الحياة كاللهو و التسلية و اللعب و الغناء و الموسيقى .

فظهر في الأندلس العديد من المجالس اللهو و المتعة فتعددت أنواعها و ألوانها و هدا راجع إلى عدة أسباب من بينها 1/ الطبيعة الأندلسية الجميلة : تميزت برياض و أنهار و إعتدال في المناخ و كانت تبعث في نفوس الأندلسيين الفرح و اللّهو و التسلية فتعقد في ربوعها مجالسهم و محافل طربهم وقد تغنى الشعراء عنها في قصائدهم .

يقول إبن خفاخة :

حثَ المِدامةُ فالنسيمُ عَليلُ وَ الظل خَفاقُ الرِواق ظَليل

و النّوُر طَرف قَد تُنبه دامَعُ و الماءُ مبتَسم يروقُ سَقيلُ [3]

فقد إنفعل الشعراء بالطبيعة حيث أنها " ...تبعث روح الطرب و النشوة فوصفهم الطبيعة متصل بالغزل و الخمرة فهم لا يذكرون الطبيعة إلا في ريحاب الحب ولا يذكرون الحب إلا في ريحاب الطبيعة الجميلة "[1]

---

[1] خديجة قروعي ، ظواهر إجتماعية مسيحية مسيحة و إسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ص 396- 398 .

[2] كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي 95-495هـ/714-1102م ، (د ط) ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ص 245 .

[3] عمر إبراهيم توفيق ، صورة المجتمع الأندلسي في ق5هـ (سياسيا و إجتماعيا و ثقافيا) ،المرجع السابق ، ص 139 .

2/ الترف الشديد في الطبقة الغنية : عرفت الطبقة الراقية بالبذخ و الترف وقد بلغ فيه حدا يفوق الوصف فقد كانت تصرف أموالهم على الآلات الموسقية و الموائد الفخمة و الشراب و المغنيين و المغنيات .

3/ تشجيع الملوك و الأمراء : كان بلاطالسلاطين مسرحا للعبث و المجون و الخمر ، قصورهم اتكاد لا تخلو من المجالس الخمرية التي تصاحبها الموسيقى و الغناء و الرقص و تعقد في ضفاف الأنهار و البساتين وفي بيوت الناس من غير رادع من الرقيب و في ذلك يقول أبو الوليد إبن زيدون أنس في إحدى جنات إشبيلية :

وَلَيل أدمناَ فيِه شربُ مدامةُ إلى أن بداَ للصبحِ في الَيل تأثيرُ

وَ جاءت نُجوم الصُبح تضربُ في فَولت نجومُ الَيلُ و الَيل مقهورُ

4/ طبيعة الأندلسيين و ميلهم للفكاهة و المرح و حبهم للحياة : حيث إهتموا بالموسيقى،و الغناء و الرقص و الجواري ،و عملوا على تدريبهم على هذه الفنون .[2]

و من بين هذه المجالس :

*/مجالس الشراب و اللهو : تداخلت الطبيعة في مجالس الشراب و اللهو حتى أصبحت مكملين و ملازمين لبعضهم البعض ، و يظهر هذا التداخل في وصف أبو الحسن علي أبن موسى إبن سعيد يصف مجلسا على ضفة النهر قد عقده مع صحبه فيقول :

علىَ نهرٍ شَنّيل و للقضبُ حولَناَ منابِر ماَ زالت بهاَ الطيرُ تخطبُ

وقَد قَرعت منه سَبائكُ فَضة خِلالَ رياض بالأصيل تُذهَبُ

و يصف لنا أيضا ابن خفاجة ما يدور في هذه المجالس :

سَكرى يُغنّيهاَ الحَمام ، فَتَنثني طَرَباً ، وَيسقيِهاَ الغمام ، فَتشربُ

يَلهو ، فَتَرفعُ ، للشَبّيبة ، رايةُ فيه ، وَ يَطلع للبهاَره كَوكبُ

وَالرّوضُ وَجهُ أزهرٍ ،و الظلُ فَرعُ أسوَد، و الماءُ ثَغر أشنبُ [3]

لم تكن تقام هذه الأمسيات إلا بوجود الخمرور كما كان لهم ولع شديد به وكان شائعا بين الخاصة و العامة و خصصت له مجالس في حين أخفق بعض المسؤولين في منعها و فرض عقوبات من القضاة و الفقهاء على شاربي الخمر،إلا أنهم واصلوا في اللهو و الشرب و فشل جميع المجهودات المبذولة من طرف السلطات.[1]

---

[1] أماني أحمد عيد طه ،تجليات الترف في بنية القصيدة الأندلسية عصر ملوك الطوائف ، دمشق،2019 ،ص 175 .

[2] المرجع نفسه ، ص 140- 144 .

[3] نضال سالم النوافعة ، ا لشعر الأجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ،المرجع السابق ، ص 10، 11، 12 .

لم يقصد هذه المجالس الحكام وعامة الناس فقط بل قصدها أيضا الشعراء ، وصلوا إلى درجة العشق في تعلقهم بالخمور إذ نجد الشاعر علي بن خروف يصف حبه للخمر فيقول :

لاَ تَرجوُن لمثَلي من هذِه الراَح توْبةٌ

فإنما هي ليلى وإنماَ أناَ توبه

في حين وصل بعض الشعراء إلى المجاهرة بالشرب و اللهو و وصلوا إلى مراتب عليا في الزندقة ، و تعدى الأمر إلى الإستهزاء بالدين الإسلامي و بشهر رمضان المبارك .

و يقول أبو جعفر :

يَقوُل أخوُ الفضوُل وَقد رآنا علىَ الإِمام يَغلبُنا المجونُ

أتتهَكوُنَ شَهرَ الصَوم هلاّ حماهُ منكُم عقل و دينُ

نَديِنُ بِكُل دينٍ غَيرَ دين الر عاع فماَ بِه أبدا نَديِنُ [2]

وقد تعددت مجالس الأنس و الشراب خاصة في عهد الأمير المنصور عبد العزيز الذي كان يقيمها في منيته المعروفة بإسم منية المنصور أو منية إبن أبي عامر[3] .

*/مجالس الغناء و الرقص : أبدع الأندلسيون في مجال الموسيقى بحيث إستخدموا في هذا المجال آلات موسيقية متعددة كالعود و الرباب و المزامير و البوق وغيرها .

ومن العوامل التي ساعدت على إزدهار فن الغناء و الموسيقى ، ميل أهل الأندلس إلى مجالس الطرب و الموسيقى و ولع الكثير من الأمويين بها ، و قدوم الكثير من المشاهير المغنيين و المغنيات من المشرق إلى الأندلس خاصة من الحجاز و العراق ، و إختراع الموشحات و الأزجال في الأندلس و إستجابة الكثير من الأندلسيين لها و إنتشار العديد من المغنيين المتجولين الذين يتكسبون بغنائهم ،حيث قام بعض الأندلسيين بتأليف الرسائل و الكتب[4] في مجال الألحان.

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدين عصر الطوائف 2 ،(ط1)، ص 233 .

[2] نضال سالم نوافعة ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، المرجع السابق ، ص 13 .

[3] كمال السيد أبو مصطفى ، تاريخ مدينة بلنسية الأندلسية في العصر الإسلامي(95-495هـ/714-1102م)، المرجع السابق ،ص 248 .

[4] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الإسلامي في العصر الأموي(138-422هـ/755-1030م)، المرجع السابق ،ص 266-268.

و الغناء ككتاب أبي بكر بن باجة الذي تنسب إليه الألحان العذبة و قد شهدت الموسيقى في الأندلس تطورا وإزدهارا واسعا من جميع النواحي التأليف ، العزف ، التلحين ، و غيرها بالاضافة إلى إستخدامهم آلالات مثل العود و غيرها من آلالات[1] يقول المعتمد في ديوانه يستدعي عودا للغناء :

لَيُقيم ذاَك العُودُمن رسم السَرى وَ يعوُد فِي الأجسامِ بالأرواحُ

فَنسيِرُ في الطُرق السروُر ، و نهتديِ بخفيَهن بأنجم الأقدحُ[2]

د/ النزهة و الصيد :

*/ **النزهة** :عرفت حياة الأندلسيين بالحركة و النشاط الدائم في المجالات الإقتصادية و الإجتماعية و هذا ما دفع بالفرد الأندلسي لتخصيص أوقات الترويح عن نفسه و إستغلال الفرس و الأدوات للراحة و الإستمتاع بالحياة و الطبيعة .

إذ لم يكتف الأندلسيون بالنزهة في الأعياد فقط و إنما خصصوا لها أياما و مواسم كثيرة ، من بينها

–النزهة اليومية :إحتوت الأندلس على الكثير من المتنزهات و كثيرا ماكان الأدباء يصفون نزهاتهم و الأماكن التي قاموا بزيارتها[3] و من المتنزهات المشهورة في الأندلس نجد (إشبيليا ، طليطلة ، قرطبة)

ومن متنزهات قرطبة نجد متنزه الخلفاء المروانية و هو قصر الرصافة يقال بناهى عبد الرحمان بن معاوية في أول أيامه لنزهه و سكناه أكثر أوقاته وقد كان قصرا واسعا ذا جنانا حسنا قال ابن السعيد : و أخبرني والدي قال : أخبرني الوشاح المبرز المحسن أبو الحسن المريني قال :بينما انا أشرب مع ندماني بإزاء الرصافة ، فإذا بإنسان رثو الهيأة ، مجفو الطلعة ، قد جاء فجلس معنا ، فقلنا له : ماهذا الإقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة ؟ فقال : لا تعجلوا علي ، ثم فكر قليلا و رفع رأسه فأنشدنا :

إِستَقنيِهاَ إزاءَ قَصر الرّصَافه وَإعتبر فِي مآل أَمرَ الخلاَفه

وَ أنظر الأفُق كَيفَ بدل أرضاً كَي يَطيلَ الَبيل فيه إعترافُه

وَيَرىَ أنَ كل ماَ هوَ فيه مِن نَعيم وَ عز أمرِ سَخافَه

كُل شَيئ رَأيتهُ غَيرَ شَيئ ماَ خلاَ لَذة الهوىَ و السَلاقه

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش ، الأندلس في نهاية المرابطين و مستهل الموحدينعصر الطوائف 2 ، المرجع السابق ص 418 .

[2] المعتمد بن عباد ، ديوان المعتمد بن عباد(ملك إشبيليا)،جمعه أحمد أحمد البدوي ،تح حامد عبد المجيد،دار الكتب المصرية ،القاهرة ،ص 4

[3] مريامة لعناني ، الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين و الموحدين ، مذكرة المجستير ، (مخطوط) ، إشراف عبد العزيز فيلالي ، تخصص تاريخ و حظارة بلاد الأندلس ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، ص 153 .

ومن متنزهات قرطبة المشهورة أيضا منزه **السُّدُّ** و**فحص السرادق** : كانت تقصدللفرجة تبتهج فيها الأنفس يقول الشريف الأصم القرطبي :

ألاَ فَدَعواُ ذِكرَ العَذيبُ و بارقُ ولاَ تَسأمواُ من ذكر فحص السَرادقِ

مجرُّ ذيولاَ السُّكرِ من كلِ مترفِ ومجرىَ الكأوُس المترعاتِ السوابَقِ [1]

كما كان أفراد الأندلسيون يخرجون جماعات ، خاصة بالعائلات و الأصدقاء يقومون بناشطات مختلفة كالسير في القوارب، الصيد، و المطارحات الشعرية و هناك من يميلون إلى الصهرات المجون (الطرب، الإسراف في الشرب)[2].

وخصصت أيضا النزهة الموسمية : التي حددت لها أيام تقام كل سنة و تكون مرتبطة بالأعمال الأسرية (كموسم العصير) فقد كانوا يأخذون أولادهم إلى حقول الكرم في فصل الخريف و يصطحبون معهم وسائل الترفيه كآلات الطرب ما يتبع ذلك من غناء و رقص ، و هناك مناسبات أخرى كزمن الربيع[3] ، موسم صياغة الحرير كان يقام في القرى كقرية نارجة وهي من أعرق و أجمل المدن يقومون بصباغة الحرير على أطاف الوديان و تقام الحفلات في هذا الموسم أياما بشتى وسائل اللهو[4] .

إلا جانب التنزه و الإستجمام كانت تقام رحلات إستشفائية لتلك المنزهات ، وقد مال سكان مرية إلى الذهاب لأماكن المياه الحارة الموجودة على رأس الجبل الذي يقصده المرضى للشفاء من بعض الأمراض أو النقه بعد العلاج وكانو يقصدونه طوال أيام السنة [5].

*/ **الصيد** :أخذ الصيد مكانة في المجتمع الأندلسي و أصبح هواية لدى أفراد الطبقة المرموقة ، الامراء و كبار التجار و أعضاء الحكومة و كبار الملاك .

و إهتم الخلفاء الأمويون في عهد ملوك الطوائف بالصيد فقد كانوا يخصصون أوقاتا لتلك الهواية التي كانت تروح عن أنفسهم وقد ذكر إبن خاقان أن إبن طاهر أمير مرسة يخرج لرحلات الصيد في الغابات (جبال بلنسية) فكان يستأذن من والده للقيام بتلك الرحلات[1] يقول المعتمد بن عباد :

---

[1]المقري التلمساني ، نفح الطيب ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 466-475 .

[2]ربيع رقي ، مدينة المرية في عصر المرابطين ، المرجع السابق ، ص 101، 102 .

[3]مريامة لعناني ، الأسرة الأندلسية في عصري المرابطين و الموحدين ، المرجع السابق ، ص 154 .

[4]المقري التلمساني ، نفح الطيب ، ج1 ، المصدر السابق ، ص 178 .

[5]ربيع رقي ، مدينة المرية في عصر المرابطين ، المرجع السابق ، ص103

أمنُ علىَ عبدٍ رجاَكَ بساعةٍ يَرتاَح فيِهاَ بإصتياَد أرانبِ

حتىَ يَصيدَ بسَعدكَ الأبطالَ فيِ يَومِ الوَغىَ بأسنَت وَ قواضبِ[2]

وقد كان الأمراء أكثر المولعين بالصيد في حين جاء الإسلام مؤيدا لذلك لقول الله تعلى {يَأيُهاَ اللَذّين آمنوا ليَبلوُنَكم الله بشيئٍمن الصَيد تَنالهُ أيديكم و رِماحكمْ ليَعلمَ الله من يخاَفهُ بالغَيب فَمَن إعتَدىَ بَعدَ ذلكَ فله عَذابٌ أليم }[3]سورة المائدة ، آية 94 .

و كانوا يدربون صقورهم على الصيد في نواحي أشبونة و جبال شرق الأندلس فنجد إبن طاهر حاكم مرسية يبعث إلى صاحبه ببلنسية المنصور عبد العزيز شواذ النفاة ليستخدمها في رحلات الصيد في جبال بلنسية [4]كان الصيد شيئا قيما لدرجة التهادي بوسائل الصيد و غيرها كالقوس و النشاب و الكلاب[5] .

شاعت هذه الهواية بالأندلس نظرا لتنوع بيئتها بالثروة الحيوانية فقد كانوا يصطادون الفهود ،و الأرانب و الثعالب و الغزلان ، و الظباع والبقر الوحشي رغم خطورة الأمر إلا أنهم كانوا يقومون بالصيد ،

يقول عبد الله بن الشعر:

لَيتَ شعريِ أمنُ جَديد خَلقناَ أم نُحتناَ منْ صَخرةٍ صماَء

كُل عاَم فيِ الصَيف نَحن غزات وَلغرانيقُ غزونَ في الشتاءْ[6]

ج/ الألعاب و الرياضة :

عُرفَ الأندلسيون وهي ممارسة الرياضة التي كانت سببا في المتعة و البهجة عند الأندلسيين فقد تعددت و تنوعت هذه الرياضات كالصباحة و الصيد و غيرها ....

***/ الرياضة :**

---

[1]عبد العزير حاج كولة ، الحياة الإجتماعية و الإقتصادية بالأندلس من خلال النوازل الفقهية في القرنين 5-6 هـ/11-12م ، ص 85 .

[2]ديوان المعتمد بن عباد ، المصدر السابق ،ص 32 .

[3]سورة المائدة ، الأية 94، ص 123،

[4]خميسي بولعراس ، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، المرجع السابق ، ص 103 .

[5]أماني أحمد عيد طه ، تجليات الترف في بنية القصيدة الأندلسية عصر ملوك الطوائف ، السابق ، ص 115 .

[6] خميسي بولعراس ، الحياة الإجتماعية و الثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، المرجع السابق ، ص103 .

تعددت ألوان الرياضة في المجتمع الأندلسي للتسلية و اللّهو وقسمت إلى قسمين قسم يتم بحركة البدن و نشاطه و من لأمثلة هذه الرياضات العدو ، المصارعة ، المبارزة ، التصويب ، الصيد، ركوب الخيل،[1]

و إشتهرت الفروسية في التاريخ الإسلامي و لقيت إهتماما كبيراً من قبل المسلمين الأندلسيين ومن الأقوال المشهورة قول رسول الله صلى الله عليه و سلم {عَلموا أَولاَدكم السباَحة و الرماَية و ركوُب الخيل }[2] و يقول إبن حمديس في ذلك :

[وذي أربع] كَخَوَافِي العُقاب يَطيرُ بهاَ السَبقُ عن حلبتهْ

كَأنّ الصّباَ قُيّدت خَلفه مُقَصرةٌ عَن مدىَ وَثبته[3]

كما إهتموا بها لأهميتها البالغة في السلم و الحرب و بدأو بتعليم الناشئين عليها وقد أقيمت عدة مسابقات بين الخيول فهي من الرياضة المحبوبة لها فائدة و إنتفاع .

مارس الأندلسيون عدة رياضات مختلفة كالصيد و السباحة و رياضة اللعب بالصولجان وقد إنتشرت هذه اللعبة عندهم يقول إبن سارة في هذه الرياضة :

كُراتٍ عقيقٍ فِي غصون زبرُ جِد بِكف نَسيم الريحُ منها صوالجْ

و كانت بيئة الأندلس داعمة لهذه الرياضات كتوفر الأنهار ، يتعلمون فيها السباحة حتى أصبحت عادة و تقليدا عند الأندلسيين يقول إبن الزقاق في وصف غلام يسبح واصفا قدراته و مهاراته في السباحة :

جاَل طَرفِي بجُدورٍ حاؤُه كالسنجَنجِل

سابحٌ فيه أغيدٌ تَخطه بِخط مغزَل[4]

و ظهرت ألعاب أخرى كالعدو (الجري) و كانوا يقيمون مسابقات في الجري وقد عرف عند المسلمين لعبة المصارعة و المبارزة و رمي السهام لم تكن هذه الرياضات مقتصرة على اللهو و التسلية فقط و إنما كانت بعضها يساعد على الإعداد للجهاد و المشاركة في شؤون الحرب .[5]

---

[1] أحمد شلبي ، الحياة الإجتماعية في الفكر الإسلامي ، المرجع السابق ، 232 .

[2] رغد جمال مناف ، الرياضة في الأندلس (ركوب الخيل نموذجا) ، مجلة التراث العلمي العربي ، جامعة أحياء التراث العلمي العربي ،جامعة بغداد ، ع36 ، 2018 ، ص578.

[3] ديوان إبن حمديس ، ص 71 .

[4] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي في الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين ، المرجع السابق ، ص 26، 27 .

[5] أحمد شلبي ، الحياة الإجتماعية في الفكر الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 233، 234 .

عرفت الرياضة في المجتمع الأندلسي إقبالا كبيرا ليس ترفيها أو حبا لمضيعة الوقت فقط ، و إنما كان لها دور كبير في بناء جسد الإنسان إن كانت ألعاب جسدية أو فكرية ، وقد جاء الإسلام داعما لها .

ومن بين هذه الفوائد نذكر :

*تحسن عمل المخ و تساهم في التركيز .

*تنمي أخلاق الفرد و تحسن علاقاته مع غيره .

*تساهم في العلاج بعض الإضطرابات النفسية و المزاجية ،تساعد على التخفيف من الضغوطات ليصبح الفرد أكثر نشاطا و إقبالا على العمل .

*تساعد على بناء الجسم و تقويته .

*تنظم الدورة الدموية بالجسم .

*تمنع الأمراض و السمنة [1].

بالرغم من تعدد فوائدها إلا أنها لا تخلو من بعض الأضرار كتعلم النفور و الكراهية و هذا بسبب التنافس في بعض الرياضات و تحرض على الإثم ، إلا أنها تبقى غايةيلجأ لها كل فرد [2].

هـ/ الأخلاقيات (الإجابية ، السلبية) :

إرتبطت الأخلاق بتاريخ الإنسانية فقد ظهرت منذ ظهور الإنسان إذ تنتمي إلى العالم الداخلي فهو يحتضنها في داخله تحرك الروح إلى نتاج بعض السلوك منها الإيجابي و السلبي .

مفهوم الأخلاق : هي ظاهرة سلوكية تعني السجية و الطبع و المروءة و الدينو هذه المعاني تبرز مظهر الإنسان الخارجي و تكون على شكل سلوك و أفعال ، فقد إنفصل التخلق على القيمة الخلقية في داخل الإنسان و الظاهرة السلوكية ، أما الخلق هو العامل الأسمى في الوجود الإنساني .

يعني أن هناك تناسق بين القيمة الخلقية و الظاهرة السلوكية [3]

الأخلاق الإيجابية :تميز المجتمع الأندلسي عن باقي المجتمعات في أخلاقه السامية التي تنوعت بعد الفتح الإسلامي نذكر منها :

---

[1] رغد جمال مناف ، الرياضة في الأندلس (ركوب الخيل نموذجا) ، السابق ، ص 573، 574 .

[2] أحمد شبلي ، الحياة الإجتماعية في الفكر الإسلامي ، المرجع السابق ، ص 233، 234

[3] يوسف شحدة الكحلوة ، الأخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، (د ط) ، جامعة الإسلامية ، غزة ، 1431هـ/2010م ص 14 .

إصلاح ذات البين و إعادة الألفة بين القلوب [1].

نشر الوعظ و النصح بين أفراد المجتمع .

الإعتماد على المديح و الهجاء و الحكمة بغرض إصلاح المجتمع الأندلسي[2] .

العرف من القيم الخلقية للفرد الأندلسي يسد عن الشرع في الامور التي لم ينزل فيها نص[3] .

الأخلاق السلبية :بالرغم من تمتع المجتمع الأندلسي بالأخلاق الفاضلة إلا أن هناك من مال منهم إلى الأخلاق الدنيئة ، سادت ظاهرة الضعف الأخلاقي في هذا المجتمع و خصوصا في الدولة الأموية وكثرة الأمراض الخلقية من بينها :

شرب الخمر : إنتشرت خلال عصر ملوك الطوائف وقد تفنن الشعراء في وصف الخمر و آنينتها و كؤوسها قد وصف الشاعر إبن شهاب بن المالقي الذي أعتبر الخمر روحه بقوله :

الراحُ رُوحي فلا والله أترُكها مادَامَ جسميِ مشتاقُ إلى الروح[4]

و كانو يبحثون عن أماكن الكيف و الطرب من الطبيعة كالبرد و الحر و إعتبروها منشطات لشرب الخمر[5] .

الترف و الإسراف : كانت ظاهرة واضحة بين الأندلسيين و أغلبهم من أصحاب الطبقة العليا فجمعوا الخيول و بنوا القصور ليتفاخروا بها و كان هذا الأمر طاغيا عندهم ،وقد برز في هذا الطريق ملوك الطوائف المقتدر بالله أحمد بن هود حاكم الثغر الأعلى الأندلسي و المعتمد بن عباد ملك إشبيلية [6].

المجون : إتضح هذا الامر بين الأندلسيين بعد ظهور الجواري فشاعت العلاقات الغرامية بينهم و لم يلتزموا بتعاليم الدين الإسلامي و أداب الحياء و الستر كما ذكر إبن حيان أن قرطبة التي كانت مقر المسلمين أصبحت مزاولة

---

[1] أحمد شبلي ، الحياة الإجتماعية ، موسوعة الحضارة الإسلامية ، المرجع السابق ، 216 ، 217 .

[2] حسين يوسف دويدار ، المجتمع الاندلسي في العصر الأموي (138-422هـ/755-1030م) ، المرجع السابق ، ص 128 .

[3] يوسف شحدة الكحلوة ، الاخلاق الإسلامية في الشعر الأندلسي عصر ملوك الطوائف ، المرجع السابق ، ص 27 .

[4] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي ، المرجع السابق ، ص 10 .

[5] مؤلف مجهول ، المضامين الخمرية ، مجلة كلية العلوم الإنسانية ، (د ع) ، ص392 .

[6] أحمد بن صالح السحيباني ، ظاهرة ضعف القيم الأخلاقية في عصر الطوائف و الملوك ، مجلة المؤرخ العربي ، ع 6 ، مج1 ، مارس ، 1998 ، القاهرة ، ص360، 361 .

الرذائل و كان ملوك الطوائف إذا إحتاجوا الشيئ من الملهيات يرسلون رسائلهم إلى قرطبة للبحث عن أوصاف الجواري [1].

الغناء و الرقص : تعددت أنواع و ألوان الرقص في الأندلس و كثرت فيها الجواري و المغنيات و أصبحت ظاهرة الغناء و الرقص من أبرز الظواهر المتفشية بين الاندلسيين خاصة بعد سقوط الخلافة حين إندثرت جميع تعاليم الدين و القيم الخلقية وظهرت إيقاعات الراقصات في مجالس اللهو[2] .

العنصرية : من الأخلاق غير المقبولة التي سادت بين عناصر المجتمع كالعرب وإنتقلت إلى الفئات الأخرى التي دخلت إلى الأندلس ، تعرضت الفئة الضعيفة إلى الذل و التفريق خاصة العنصر الأسود (العبيد) الذي عرف جميع أساليب التعذيب و التهميش من قبل الأفراد خاصة الأغنياء الذين قاموا بتفضيل إنسان على إنسان بالرغم من نهي الإسلام لهذه الظاهرة إلا أنها إنتشرت بقوة[3] .

البخل : من الصفات الغير المقبولة و المذمومة بين المسلمين نهى عنه الدين الإسلامي إذ يقول في هذا السياق إبن الأبار :

لاَ أرتَضي البَاخِلَ خلاً وَإنْ أحلّهُ الإيسارُ فِي ذَروَتِهِ

دَعه يُكاثِرْ بِا لثَّراء الثَرى قَناعَتِي أكثرُ منْ ثَروَتِهِ [4]

وفي ختام هذا الفصل يمكننا القول :

بن الأندلسين إلى ربط العلاقات بين أفراد المجتمعه فاختلفت المناسبات لتقوية الصلة بين الأصدقاء و الأحباب ، كما ضهرت الإخوانيات لتصوير العلاقات فتنوعت التهاني كتهنئة الأحباب بقصائد شعرية أو رسائل نثرية معربة عن شعورهم في حالات الشفاء أو الزواج أو مولود جديد ساهمت فئة الشعراء في التعريف بالعلاقات كالمحبة أو العداء أو العتاب ، و الفكاهة و الدعابة التي ساهمت في الترفيه و تحرير الإنسان كما كتبوا في المناسبات الأخربكالتعازي للتخفيف من ألم المصيبة و مشاركة الأهل ،وقد عرف هذا العصر بعاداته و تقاليده تميزه عن غيره ، بيئة والمجتمعا فظهرت في علاقاتهم و موائدهم و زينتهم و مناسباتهم و حياتهم بصفة عامة بإختلاف فئات المجتمع الأندلسي .

---

[1] نفسه ، ص 273 .

[2] نضال سالم النوافعة ، الشعر الإجتماعي ، نفسه ، ص 17 .

[3] إسراء محمد نجيب أبو عمر ، العنصرية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الخلافة الأموية ، رسالة الماجستير ،(مخطوط)، تخصص التاريخ الأندلسي ، جامعة الخليل عمادة الدراسات العليا ، 1439هـ/2017م ، ص6 .

[4] أبي عبد الله محمد إبن الأبار القضاعي البلنسي ، ديوان إبن الأبار ، (دط) ، ص 108.

الخاتمة

سعينا في هذا الموضوع إلى تسليط الضوء على بعض المظاهر الحياة الاجتماعية لعصر ملوك الطوائف من خلال الأدب الأندلسي ، من أهم النتائج التي توصلنا إليها نذكر منها :

– انقلاب أحوال الأندلس السياسية بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر بالله واعتلاء ابنه لمنصب الحكم وهو لم يبلغ الحلم ، لعدم توفر شروط القيادة فيه ، مما كان لهذا الأمر تداعيات كبيرة على الأندلس وهو ما هيأ إلى ظهور قوى كانت تتصارع على الصلطة و التي كانت سببا رئيسيا في سقوط الدولة الأموية في الأندلس .

– إقدام الأسرة العامرية على سياسات وإجراءات كان لها الأثر البالغ في الإيذان ببداية سقوط الدولة الأموية و سببا رئيسيا في ذهاب مجدها و سلطانها و خاصة سياسة الحاجب عبد الرحمان بن أبي عامر (شنجول)الفاشلة و التي كانت عاملا في إشعال فتيل الفتنة التي سببت في فقدان المسلمين في الأندلس وحدتهم السياسية .

– تعددت التركيبة الاجتماعية في المجتمع الأندلسي من شتى العناصر البشرية بتعدد أنسابها و انتماءاتها و كان أبرزها العنصر العربي الذي كلن قائما منذ البداية يليه العنصر البربري الذي اثر على الأندلس بهجراته و ثوراته المتتالية ، أما المولدون فقد كانوا يمثلون العنصر الفعال و الأكثر نشاطا و توافقا مع بقية العناصر ، أما الصقالبة و بالرغم من تصنيفهم في فئة العبيد إلا أنهم أثبتوا حضورهم في الحياة الأندلسية ، أما العنصر الأخير فهو عنصر اليهود الذي عرف من بين الفئات المضطهدة في الأندلس لكنه برز في المجالين التجاري و الصناعي .

– احتواء التركيبة الطبقية على عدة طبقات أجمع عليها الكثير من المؤرخين ، الطبقة الخاصة (الأرستقراطية) التي شكلت من كبار الدولة ، العائلات الغنية و رجال العلم و الدين ، أما الطبقة الثانية هي العامة ، تكونت من كبار التجار و أصحاب الوظائف المتوسطة .

– احتلال النساء مكانة خاصة في الأندلس فقد فرضن وجودهن و نشاطهن في مجتمع متقلب الأوضاع غير مضمون العواقب.

– أبداع الأدباء و الشعراء في تصوير مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر ملوك الطوائف عن طريق قصائد شعرية و رسائل نثرية تنوعت مادتها و مواضيعها ضمت الصداقة ، التهاني ، التهادي ، فن الفكاهة ، الإخوانيات ، العادات ، التعازي ...

– اهتمام أهالي الأندلس بالاحتفالات و الأعياد و هو ما دفع الشعراء بالتغني بها في معظم موضوعاتهم الشعرية و النثرية ، وقد ربطوا شعرهم بمجالس اللهو و الغناء و المتعة التي انتشرت في الأندلس انتشارا واسعا ، جعلت الحاكم و المحكوم يلقون بأنفسهم في أحوالها و مستنقعاتها ، و هو ما أدى في النهاية إلى ضعفهم في ميادين الجهاد و مقاومة الأعداء ، و تاراخي سلطانهم حينما أصبحوا أسرى لملذاتهم و شهواتهم .

– أهميت الجانب الأدبي في تصوير مختلف المظاهر الاجتماعية في الأندلس و بالتحديد في عصر ملوك الطوائف لكونه يعد وثيقة تاريخية مهمة يمكن للباحث الرجوع إليها في تعلقها مع المصادر التاريخية الأخرى .

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات :

مقدمة

مدخل : لمحة تاريخية عن قيام ممالك الطوائف

أ/سياسة محمد بن أبي عامر و اثرها في المشهد السياسي الأندلسي

ب/ سياسة الحاجب عبد الرحمان بن ابي عامر وأثرها في قيام الفتنة في قرطبة

الفصل الأول : المجتمع الأندلسي في عصر ملوك الطوائف (دراسة في التركيبات و المرجعيات)

1/ التركيبة الإجتماعية:

أ/ العرب

ب/ البربر

ج/ المولدون (المسالمة أو الموالي)

د/الصقالبة

هـ/ اليهود

2/ التركيبة الطبقية :

أ/ الطبقة الخاصة (الأرستقراطية)

ب/ الطبقة العامة

3/المرجعية الدينية و اللسانية :

أ/ الدين

ب/ اللغة

4/مكانة المرأة في المجتمع الأندلسي :

أ/صورة المرأة في المجتمع

ب/إسهامات المرأة في المجتمع الأندلسي

الفصل الثاني : مظاهر الحياة الإجتماعية في عصر ملوك الطوائف بين التاريخ و الأدب

1/ الإخوانيات :

الصداقة و الاصدقاء

التهاني و التهادي

الفكاهة و الدعابة

التعازي

2/ العادات و التقاليد :

المصاهرات (الزواج)

الأطعمة و الاشربة ، الألبسة و الزينة و العطور

النظافة الحمامات

المآتم و الجنائز

3/الإحتفالات و التسلية:

الأعياد و المناسبات

مجالس اللهو

الغناء و المتعة

النزهة و الصيد

الألعاب و الرياضة .

4/ الأخلاقيات :

أ/ الأخلاق الإجابية

ب/ الأخلاق السلبية

الخاتمة

قائمة المصادر و المراجع

ملخص المذكرة :

عاش المجتمع الأندلسي سياسة متقلبة بعد سقوط الخلافة و زوال حكم الدولة العامرية ، نتجت عن هذه الصراعات مماليك و إمارات سميت ملوك الطوائف ، إنتشر الفساد و إنتهى الحكم فقامت عناصر المجتمع الأندلسي بالإستقلال بمناطق نفوذهم ، تشكلت التركيبة الإجتماعية في الأندلس من عناصر مختلفة ومن عدة طبقات مختلفة الديانات و متعددت اللهجات التي كانت صلة وصل بينهم ، و قد كان للمرأة دور مهم في مجتمعها ، إذ تعددت مظاهر الحياة الإجتماعية في ذلك العصر من خلال تصوير الأدباء و الشعراء في مختلف قصائدهم و قد تظمنت الإخوانيات ، الإحتفالات ، و التسلية ،الأخلاقيات .

Andaluian society lived a volatile politics after the fall of the caliphate and the demise of the rule of the amiri satate . these conflicts resulted in mamuluks and emirates called the kings of the sects . corruptin spread and the rule ended

So the elements of andalusian society became independent in their areas of infuence which was a link between them and the woman had an important role in ther society

Sosial life in that era vaied and this was through the portrayal of writers and the was through the portrayal of writers and poets in their various poems the brotherhood included celebrations entertainment and morals.